شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية		العدد (٢٥) ١٥/١١/٢٠٠٤

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ

- اليماني: تفاؤلي بالإصلاح لم يكن في محلّه
- فتاوي القتل الجديدة.. ذاكرة أهل السلف المثقوبة
- دلالات مكتومة: فتوى الوهابيين بالجهاد في العراق
- بريطانيا: فتح ملف رشاوى صفقة اليمامة
- العنف والإصلاح الدستوري في السعودية

عزاؤنا فيك يا فقيد العلم يا عالم مكة



رحيل السيد المالكي.. رمز الحجاز الديني



بفضل التطرف الوهابي

القبّة الخضراء فضيّة وبلا هلال!

في هذا العدد

دولة المفاجئات

في الدول والمجتمعات المنفتحة والتي تعتمد مبدأ الشفافية في التعامل مع شؤونها العامة تكون في مأمن من أي مفاجئات كارثية، بخاصة تلك التي تؤدي الى انهيار في النظام العام، او تصدعات خطيرة في بنية المجتمع.. ولذلك فإن اسدال ستار من أي نوع على بعض الشؤون العامة يحدث صدمة في الرأي العام، لأن الاتفاق قائم على أساس الشفافية فيما يتعلق بالشؤون العامة، فالدولة بما يجري فيها ويدور في أجهزتها هي حق عام يتقاسمه المنتسبون اليها، وبالتالي فإن إساءة استغلال هذا الحق من قبل الموكلين بالاشراف عليه ورعايته يحرمهم من الاستمرار في مناصبهم.

تصوّروا معي أن رئيس وزراء بريطانيا يستعمل طائرة بالقدر الذي يفوق الحاجة، كأن يستعملها في نزهة أو ينقل معه فيها أشخاصاً غير مدرجين على قائمة المرخّص لهم قانونياً باستعمال الطائرة لأغراض خاصة.. كيف كان رد الفعل؟ لقد فعلها سابقاً فكتبت الجرائد المحلية مقالات تهاجم رئيس الوزراء وتتهمه بإساءة استغلال أموال الضرائب التي يدفعها الشعب للحكومة. لم يقل رئيس الوزراء بأن منصبه وما يقوم به إنما أوتيه على علم من عنده، ولم يتوسّل بحق الآباء والاجداد، ولم يتذرع بالسماء في تبرير سياسات ومسالك أرضية.

تصوّروا أن المفاجئات التي تهز المجتمعات الغربية ترتبط بمخالفات وانتهاكات باتت معروفة مألوفة في بلادنا، كأن يتورط وزير أوروبي في رشوة مالية او فضيحة جنسية أو حتى في شبكة دعارة تعمل لحساب أحد الامراء في بلادنا، أو أي بلد آخر في المنطقة المليئة بالفحولة من العرب. بالنسبة للوزير فإنه ينال عقاباً قاسياً من الجنّة والناس أجمعين، ثم يلاحقه العار من بين يديه ومن خلفه، فيما تعمل الصحافة بكامل طاقتها من أجل الكشف عن مزيد من أخبار تلك الفضيحة، حتى لا تجعل لمستقبله السياسي ذرة أمل يعوّل عليها في القادم من أيامه.. بطبيعة الحال، فإن الصورة في بلادنا هي نقيض ذلك، فإن الأمير المتورط يبقى محتفظاً بكافة مواصفات التقوى والايمان والعمل الصالح، ويحظى بدعاء العلماء وأئمة المساجد باعتباره من ولاة الأمر الذي أوجب الله علينا طاعتهم، بل يظل الأمير الداعر طليق اللسان وخطيباً مفوّهاً يحث الناس على الاخلاق والقيم بما في ذلك المتصل منها بالشرف وحفظ الاعراض والابتعاد عن المفاسد الاخلاقية.. هاتان الصورتان المتقابلتان تعكسان حقيقة ما جرى سنة ١٩٩٥ حيث كشفت القناة الرابعة البريطانية بالاشتراك مع جريدة الجارديان اللندنية عن فضيحة شبكة دعارة تعمل لحساب حاكم المنطقة الشرقية وتورط فيها مسؤول بريطاني رفيع المستوى وعدد من الشخصيات الخدماتية في بريطانيا وأوروبا.

فبينما اهتزت الحكومة البريطانية بفعل تقرير القناة الرابعة لهول الفضائح الواردة فيه، وخصوصاً المتعلق منها بشقق وبيوت للدعارة تعمل لحساب الامير ابن الملك وحاشية المتنسّكين، فإن بلادنا كانت تنعم بالايمان والتقوى والعمل الصالح.. فقد بات المتورطون ليلتهم قريري العين، وبقوا محتفظين بمناصبهم بل وزادوا عليها أوسمة ونياشين، أما صاحبهم ايتكن فقد بقي في السجن لسنوات طويلة، وحين خرج كان جهاز الرقابة قد وضع حول رسغه بدلاً من الاوسمة كيما يكون تحت الرقابة، هذا فضلاً عن خسارته السياسية الفادحة والقاصمة.

مما سبق يمكن الالماح الى ماذا نعني بدولة المفاجئات.. إن هناك رابطة جدلية بين المفاجئة والكتمان المحيط بأسرار يعتقد بأن البوح بها أو الكشف عنها يؤول الى إحداث صدمة.. ولذلك فإن الدول والمجتمعات المغلقة تكون فيها كمية الاسرار المكتومة متفوقة على المعلن منها، حيث تسير الحياة في هذه الدول على أساس روابط واتفاقيات وتضامنات غالباً شفهية وذات سرية عالية، إذ إن الاعتماد على المعلن والمكتوب يهدد بقاء الروابط والتضامنات القائمة على أساس مصالح متبادلة. ويمكن القول بأن الانظمة الديكتاتورية وهي بالضرورة انظمة مغلقة تعتمد السريّة والكتمان كمصدر قوة فاعل يكفل به تحقيق استمرار واستقرار معادلة المصالح.. يقال بأنّ السريّة تمثل سلاحاً فاعلاً في يد الانظمة الشمولية التي به ترسم صورة متضخمة مرعبة في أذهان الخاضعين تحت سيطرتها.. ولكن ما إن تتهدم أركان أي من هذه الانظمة فإن دهشة عارمة تجتاح من إستبدّ بهم الخوف من القوة المفتعلة والمتوّهمة التي أحاطت هذه الانظمة نفسها بها.. فإذا بتلك الانظمة وكأنها بيوت العناكب و(إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت).

ورغم أن عصرنا تكاد تختفي فيه الدهشة، حيث بات سيء الطالع قانوناً بل يكاد الأمر ينقلب رأساً على عقب، حيث من المحتمل ان تحدث المفاجئات السارة صدمة نفسية لأجيال لم تكن تجني من سياسات حكامها سوى الثمار المرّة. اقول ان اختفاء عنصر الدهشة في حياتنا الشرقية، يكاد يضفي لوناً باهتاً على المفاجئات، فقد بات نبأ سرقة المليارات من خزانة الدولة خبراً قديماً ومألوفاً واعتيادياً، وأصبحت قصة مصادرة الامراء الكبار سلطان او نايف او غيرهما لأراض الغير ونزع ملكية اصحابها لها قصة بائتة لكثرة ما تكررت ليس خبراً بل أثراً، كما صار الحديث عن عمولات تحت وفوق الطاولة في صفقات الاسلحة ومشاريع البناء والتنمية بأحجام مختلفة حديثاً بارداً.. إن كثرة الفضائح في بعض الاحيان تميت الاحساس بها، بل تعطب ردود الفعل عليها، وفي بلادنا هناك إصرار على عدم الاقرار بالمفخالفات رغم أنها غمرت الارجاء وسمع بها القاصي والداني، وهذا السماع لم يأت بفعل الشفافية السياسية والاعلامية السائدة، ولم تأت في بيان رسمي تعلنه الحكومة او العائلة المالكة في الصحافة المحلية وتقرّ بأخطاء اقترفها العهد البائد وتعد بتصحيح ما ارتكبه السابقون.. لا ليس الامر كذلك، إنما هي فضائح تسرّبت في الاعلام الخارجي، فوصلتنا أخبارها حتى باتت شائعة ورائحة الصيت.

بلادنا مرشحة لأن تكون دولة مفاجئات في المرحلة القادمة، لأن التفاوت الاقتصادي، كمثال واحد، يدفع كثيرين للبحث عن أسباب هذا التفاوت فيزيد الاهتمام بموضوع السرقات، تماماً كما أن حجم الدين الداخلي الذي تجاوز الحد الفلكي أحدث صدمة لقطاع واسع من الناس.. من الناحية النظرية، أقرّ الامير عبد الله مبدأ الشفافية ولكن اكتشف فيما يبدو حجم الفساد الذي لو اطلع عليه العباد لثاروا على من حرمهم لعقود من خيرات ربهم وكنوز أرضهم.. ولاشك أن الامراء الكبار ممن نهبوا ووهبوا يضيرهم جداً إعتماد مبدأ الشفافية، الذي يؤدي الى تقديم كشف حساب المفاجئات المالية الضخمة، وقد يطلق ثورة الغضب الشعبي التي لا يعلم سوى الله مداها ومنتهاها.

النجاة من الحرب الطائفية في العراق

السعودية تتنصل من بيان الـ٢٦

فجّر بيان الـ ٢٦ عالماً سلفياً من الطبقة الثانية في النظام التراتبي الديني الوهابي أزمة داخلية، حيث استشعرت المؤسستان السياسية والدينية بأن ثمة تقويضاً للسيادة بشقيها الدولتي والديني قد تم على أيدي مجموعة الموقّعين على بيان موجّه للشعب العراقي والذي تجاوز فيه حد التدخل المباشر في شؤون دولة اخرى الى اختطاف موقف المؤسستين السياسية والدينية في السعودية. لقد ثبّت البيان حقيقة الدور المباشر الذي تلعبه السعودية في عمليات العنف التي تجري في العراق منذ سقوط نظام صدام حسين، وبهذا البيان يصبح الامر أكبر من كونه مرتبطاً بمجموعة مقاتلين سعوديين تسللوا عبر الحدود الشمالية الى داخل العراق للانضمام الى صفوف المقاومة في الفلوجة او بغداد او الموصل او غيرها او الانخراط في العمليات الانتحارية التي تقوم بها المجموعات المسلّحة داخل العراق، فالبيان بتوجيهاته المباشرة يعكس حقيقة واضحة وهي أن السعودية باتت طرفاً رئيسياً في عمليات ما يسمى بالمقاومة والتي حصدت عشرات الضحايا في شوارع ومدن العراق.

لقد نبّه صدور البيان بلغته الطافحة بالتحريض على القتال الى خطورة التورط السعودي في شؤون العراق، سيما بعد بوادر تصدّع الجماعات المسلّحة وسقوط الفلوجة تحت ضراوة نيران الاسلحة الاميركية والعراقية التي تعكس الاصرار على القضاء على هذه الجماعات، التي باتت مسؤولة بصورة مباشرة عن اضطراب الامن وسقوط العشرات من الضحايا دون تمييز في مدن العراق.

وفي محاولة لاستدراك التداعيات الخطيرة لبيان الـ٢٦، قررت الحكومة السعودية بذل كل جهد لاحتواء أزمة مستقبلية مع الحكومة العراقية القادمة من خلال تبرئة ساحتها من مجريات الاحداث في العراق. كما سعت الحكومة الى تأكيد روابطها التاريخها مع الشعب دفعاً لتهمة التورط في حرب طائفية تقودها الرياض في العراق. وبحسب كاتب في موقع ايلاف الالكتروني فإن (السياسة السعودية نجحت تاريخياً إلى حد كبير فى خلق امتداد مع الفئات الشيعية العراقية التي تنتمي إلى قبائل عربية كبرى ـ شمر وعنزة والرولة مثلاً ـ وكذلك بعض تيارات المجتمع المدني العراقي، حيث أن الرئيس العراقي المؤقت المهندس الشيخ غازي بن عجيل الياور ينتمي إلى قبيلة شمر التاريخية المنتمية إلى ذلك المثلث القبلي الكبير، وكذلك وزير الدفاع حازم الشعلان، ورجالات كبار في العهد الجديد).

التجاوز الخطير لسيادة وسلطة المؤسسة الدينية دفع كبارها للالتحام مع الدولة لمواجهة تيار الـ ٢٦ المنفلت من زمامها

بل بالغ أحد الكتّاب المحسوبين على الحكومة في تصوير الحياد السعودي في المسألة العراقية من خلال التأكيد على الحقائق الاجتماعية والتاريخية، وتأكيد دور الشيعة في تاريخ العراق الحديث. وقد عدّ الكاتب بيان الـ ٢٦ بأنه من الناحية السياسية والجيوبوليتيكية (في غاية الضعف) وحذّر من أن دعم المقاومة (سينتهي بالوضع العراقي إلى حرب أهلية على أسس طائفية أو قومية، مما سيعطي الفرصة سانحة لدول الجوار ـ إيران أو تركيا مثلاً ـ إلى التدخل، ويتكرس بذلك كنتيجة خطر التقسيم). وهذا التحليل يلتقي مع بعض التصورات السائدة لدى الشيعة العراقيين الذين يتملّكهم الغضب الشديد من الدور الايراني في العراق، حيث يحتفظ المسؤولون العراقيون بوثائق تثبت تورط الايرانيين في دعم مجموعات المقاومة جنباً الى جنب المجموعات المحسوبة على تيار مقتدى الصدر.

ومع أن هذا التحليل يحاول نقل القضية من اطارها الطائفي الى اطار قومي في مسعى لتحييد رد الفعل الشيعي العراقي، وفي الوقت نفسه استثماره في معركة قومية تكون بين العرب جميعاً بما فيهم الشيعة العراقيين من جهة وايران وتركيا من جهة ثانية، الا أنه يمثل أحد المخارج السهلة بالنسبة للسعودية التي باتت في قلب المعركة الطائفية التي بدأت بوادرها تبرز في العراق والتي يخشى ان تمتد الى خارج حدوده.

يحاول كاتب المقال في موقع ايلاف والتي باتت تجتهد في تقديم وجهة نظر مقبولة ومبررة للسعودية، التنبيه الى الوجه الآخر من المعركة الطائفية في العراق ومن هو الخاسر الأكبر فيها. يقول الكاتب (ولا أحتاج إلى دليل لإثبات أن الخاسر الأول في حالة التقسيم هم الطائفة السنية العربية تحديداً، والتي جاء البيان أساساً لدعمها. حيث أن مناطقهم ـ الوسط ـ هي المناطق الأفقر من ناحية الثروات البترولية على وجه التحديد، من الجنوب الشيعي أو الشمال الكردي). ولهذا السبب، على حد قول الكاتب (هذا بيان متهافت سياسياً بصراحة). كما يلفت الكاتب أيضا الى (أن كثيراً من الأسماء التي وقعت البيان ذوو مواقف متطرفة تجاه الشيعة، مما يؤكد أن البيان لم يُدرس جيداً حتى من الناحية التاريخية فضلاً عن الناحية السياسية، فجاء متناقضاً مع مواقفهم العقدية التي يُجاهرون بها علناً).

من جهة ثانية، جاء الرد الرسمي السعودي على البيان بهدف اعادة مركزة المرجعية الدينية الرسمية التي وجدت

نفسها في هامش الفعل السياسي اليومي، وخارج السيطرة على تقرير الموقف الديني، وهو ما أثار حفيظة علماء المؤسسة الدينية الرسمية الذين شعروا بخسارة سيادتهم الدينية على المجتمع الوهابي، كيف وان بيان الـ ٢٦ حظي بتأييد ودعم قطاع كبير من الشباب السلفيين وافراد المقاومة في العراق.

وكان المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ قد صرّح لصحيفة (عكاظ) الصادرة في جدة بأن الذهاب إلى العراق ليس سبيلاً لمصلحة، لأنه ليس هناك راية يقاتلون تحتها، ولا أرضية يقفون عليها، والذهاب إلى هناك من باب التهلكة وهو ما لا يصلح.

وأبان المفتي عدم مشروعية وجواز تحريض الشباب والتغرير بصغار السن للسفر للعراق وقال: (هذا لا يجوز لأنه يوقعهم في أمور هم لا يتصورون حقيقة ما يذهبون إليه. واضاف قائلاً: على أولياء الأمور منع أبنائهم من الذهاب إلى العراق فلا مصلحة من ذلك وعليهم المحافظة على أبنائهم من مغبة الانزلاق في هذا ولأن هناك أموراً لا يفهمون حقيقتها ولا يدركونها.. لذلك فمن باب أولى عدم سفر الشباب إلى العراق).

كما تم اشراك بعض المنتمين الى الطبقة الثانية في التيار الديني السلفي ومن لدّات الموقّعين على البيان المومىء اليه، ولعل أبرز المواقف صدرت عن الداعية السلفي الدكتور عائض القرني والذي أكد بأن بعض الدعاة في المملكة لا يدركون حقيقة ما يجري على ارض الواقع في العراق من قتال وخلافه. ونقلت (عكاظ) عنه قوله (إن تسجيل المواقف، وإرسالها لقنوات فضائية مثل ـ الجزيرة ـ لا يكفي للجهاد كتسجيل موقف، ذلك أن تسجيل المواقف ليس لها أصل في الكتاب والسنة). ولفت الشيخ القرني إلى (أن تحريض الشباب وحثهم للذهاب إلى العراق وغيرها قد يورث فتناً وعواقب وخيمة ندفع ثمنها في المستقبل) ولم يستبعد أن يكون لهؤلاء المحرضين توجهات أو مطامع أو غايات الله اعلم بها.

وكما يظهر فإن الحكومة وبدفع من علماء المؤسسة الدينية حفّزت بعض الخطباء على نقد بيان الـ ٢٦، والتحذير من التورط في عمليات عسكرية داخل العراق تحت مسمى مجاهدة المشركين وأهل الضلال، ودعا عدد من خطباء المساجد وأئمة الجمع الشباب الى عدم الانزلاق والتهور في الاقدام على أعمال تضرّ أسرهم ووطنهم.

إن هذا التجاوز الخطير لسيادة وسلطة المؤسسة الدينية هو ما يدفع برجالها الكبار الى الالتحام مع الدولة في مواجهة تيار الـ ٢٦ المنفلت من زمام الدولة، والذي قد يواجه ضربة في مرحلة لاحقة في عملية تفتيت هادئة كالتي جرت له في التسعينيات، حيث تم تصديع قواعد التيار السلفي الناشط سياسياً، وحرمانه من ممارسة نشاطه الدعوي، وقد تلاحق الموقعين على البيان تهمة (التحريض على الارهاب). ولاشك أن قائمة التهديدات التي وصلت الى الموقّعين تتضمن عقوبات كثيرة من بينها حرمان افرادها من السفر او الدخول الى بعض الدول تحت طائلة نشر الفكر الارهابي.

ولعل الاهم في رد الفعل الرسمي السعودي هو بياني سفير السعودية في كل من واشنطن ولندن الامير تركي الفيصل والامير بندر بن سلطان بإسم الحكومة السعودية حيث نفيا في العاشر من نوفمبر أن يكون الـ ٢٦ يمثّلون موقف المملكة او هيئة كبار العلماء. وبحسب البيان فإن الـ ٢٦ (لا يمثّلون سوى أنفسهم فقط وهو رأي مخالف لموقف المملكة التي تريد الاستقرار والسلام للمنطقة وللعراق بصفة خاصة). وقد جاء بيان الاميرين بعد موجة انتقادات واسعة في وسائل الاعلام الغربية لموقف السعودية من مجاهديها الذين يتسللون الى داخل العراق عبر الحدود الشمالية والذين حصلوا على تسهيلات من قبل أجهزة الامن السعودية، وقد تم القاء القبض على عدد منهم في أحداث الفلوجة وفي مناطق أخرى من العراق. وكانت بعض الصحف الاميركية والبريطانية قد وجّهت اصابع الاتهام الى دور الامير نايف وزير الداخلية وابنه مع بعض المشايخ الموقّعين على بيان الـ ٢٦ في تحريض بعض العناصر المسلّحة التي تنتمي الى تنظيم القاعدة في السعودية لنقل عملياتها الجهادية الى داخل العراق، وتجنيب السعودية أعمال العنف التي شهدتها خلال السنتين الماضيتين. وقد جاء بيان الاميرين لنفي هذه التهمة من خلال إعادة تعريف مفهوم الجهاد حيث اعتبر الامير تركي الفيصل سفير السعودية في لندن (أن الجهاد الحقيقي هو مساعدة شعب العراق في العودة لبناء دولته).

فتوى سعودية

لا يمكن تفسير إحجام الكثير عن تذييل الفتوى بتوقيع على أنه إحجام عن جهاد الدفع ولا يمكن فهم آراء كل من شارك بالتوقيع على أنها مباركة للفريضة الغائبة. المؤكد أن من بين الموقعين من لم يشم على الإطلاق رائحة معركة جهادية، والمؤكد أن فيهم من سيحجم عن شم غبارها مادامت على هذا النحو. هذه المعارك ليست إلا مباركات على الورق وتأثيرها لن يطال أصابع الإبهام التي سعت للتوقيع، بل ستطال الأرجل التي تدوس فوق الجمر وكلنا نعرف أن إخوتنا في العراق يعيشون اليوم بين جحيم الغطرسة والإذلال الأمريكي وسندان البيانات والفتاوى التي يكتبها الأصحاب من الغرف المقفلة المكيفة.

كانت هذه الفتوى جوازا مفتوحا للقتل الجماعي ولنا أن نتخيل هذه الفتوى وهي تسير للتطبيق نهار الانتخابات العراقية القادمة وكم رصاصة سنحتاج من أجل جهاد الدفع وكم قبرا سيفتح بل كم شخصاً سيبقى لإتمام مراسم الدفن، فالعراق في سواده بحسب هذه الفتوى عمالة وتواطؤ مع المحتل. كان بودي لو أن خطابنا الديني تفهم في الحالة العراقية واقع الحال السياسي مثلما كانت فتوى الشيخ سلمان العودة في العام الماضي حين رأت أنها فتنة لا يعرف لها راية وجحيم يساق إليه شعب تحت احتلال واحد وعداوات متعددة فيها الداخلي الطائفي والمذهبي والعرقي وفيها الخارجي المسلم وغير المسلم.

تجار الحروب مثل محترفي البيانات: آخر من ينزل إلى ميدان المعركة، والمشكلة أن الفتوى تنادي بالوحدة الوطنية فتوغل في لغة التقسيم والفرقة. نسيت أن لهذا الشعب قصته الطويلة جداً مع البؤس والشقاء فظنت أنها ستوحده بفتوى تأتي من الخارج لبلد له علماؤه وحوزاته الذين سكتوا لا لشيء: إلا لأنهم أعرف من غيرهم بظروف بلدهم الذي لم يعد يحتمل فتوى جديدة.

علي سعد الموسى

الوطن ٨/١١/٢٠٠٤

من يمثل الأمة ويصنع خطابها السياسي والفكري؟

الخطاب الديني في المرحلة القادمة

ثمة تحوّلات سريعة الايقاع في الخطاب الديني منذ بداية الالفية الجديدة، زاد في تغوّلها وجنوحها زلزال الحادي عشر من سبتمبر الذي جرف معه خطابات فكرية وسياسية كانت تراهن على النهوض الحضاري بالأمة، ولكن ما لبثت أن وجدت نفسها في أتون مواجهة ايديولوجية من نوع آخر، كانت اطرافها المحلية تعيش على هامش الحراك الفكري وربما السياسي لفترات طويلة، واذا بها وبقدرة قادر تتحول الى حاملة لواء المواجهة الحضارية وتعتلي سنام تمثيل الامة، لتظهر على حين غفلة وجوه جديدة ورموز كاريزمية كانت غير مؤهلة ولا مهيأة للتربع على عرش تمثيل أمة يربو تعداد افرادها على المليار ونصف المليار مسلم. متى جرى ذلك سؤال باتت إجابته معلومة، ولكن كيف ولماذا جرى ذلك، هما السؤالان الجوهريان اللذان تظل الاجابة عليهما ملحّة.

يمكن القول ابتداءً، بأن تصادم الخطابات كمقدمة مفتعلة لتحقيق نبوءة صدام الحضارات لم يكن تسلسلاً طبيعياً داخلياً، فلم تقرر قوى التنوير الديني المحلية في الشرق الاوسط تلك المنازلة، فقد حسمت المواجهات الايديولوجية في فترة مبكّرة من القرن الماضي حين توصّل رواد النهضة الاسلاميين الى أن البداية الصحيحة للنهوض الحضاري تكمن في مراجعة الذات ونقدها للعثور على أسباب التخلف والتأخر ومن ثم سبل النهوض والترقي، وقد نجح هؤلاء الروّاد في استيعاب الصدمة الحضارية التي أحدثها الغرب في بلاد المسلمين عن طريق إعادة قراءة النص الاسلامي وتطوير آليات تفسير مناسبة من أجل انتاج معارف جديدة مستمدة من المصادر الدينية الاولى، أي ممارسة عملية تأصيل لمفاهيم دينية كانت بحاجة الى فهم متقدم، مع الاقرار بالتقدم الغربي على الاقل التكنولوجي منه والذي فرض على المسلمين الأخذ بأسبابه الفكرية، اي اعادة تشييد البنى الفكرية التحتية للخطاب الاسلامي..

لقد عمل رواد النهضة الاسلاميين على تنمية خطاب ديني منفتح على العصر، سعياً من أجل مواكبة التطور وتحدياته دون أن يفقدهم نشاطهم الاجتهادي الشجاعة في الاقرار بالنقص والقصور في حركة الاجتهاد الديني، فقد اعترف الرواد الأوائل مثل السيد جمال الديني الافغاني والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا والكواكبي ومن جاء بعدهم بأن ثمة ضرورة شديدة لاعادة قراءة النص الديني للعثور على مكامن القصور في حركة الامة نحو النهضة، فقد حدد الافغاني أزمة الامة في الاستبداد الداخلي والاستعمار الخارجي، وحدد الشيخ محمد عبده الازمة في المسألة الثقافية وانصرف الى اصلاح التعليم الديني، وسار الشيخ رضا على هديهما وعاب على من اعتبر الشورى مبدأ الحكم في الاسلام قبل ان ينبّه الغرب الى المعاني المغفول عنها في هذا المبدأ من خلال الديمقراطية، وشنّ الكواكبي حملة على نوعين من الاستبداد: الديني والسياسي واعتبر الاستبداد الديني أشد خطراً على الامة، وكتب الشيخ علي عبد الرازق في أصول الحكم في الاسلام ونفى تلك الصيغة التي حظيت بقبول السابقين واللاحقين والتي جرى استعمالها في العهد الراشدي وتأمّل انبعاثها من عاشوا او افتتنوا بسقوط الخلافة العباسية ثم الخلافة العثمانية.

لقد قدّم رواد النهضة الاسلاميين تراثاً ناضجاً وشهدت الساحة مراكمات فكرية عميقة ونافذة، بحيث فرضت نفسها على النشاطات الفكرية اللاحقة، في عواصم عربية واسلامية عديدة.. ولذلك نجد أن أغلب المنجزات السياسية والفكرية اللاحقة مدينة للنشاط الفكري الراشد الذي قاده رواد النهضة الاوائل. قد يقال بأن الجماعات الراديكالية انشقت من باطن التيار النهضوي العريض في الامة، وهذا صحيح جزئياً ولكنه لم يكن في يوم ما يمثل القاعدة ولم يكن يشكل ظاهرة جماهيرية فقد ظل التطرف حبيس فئات معزولة نشأت كرد فعل على أوضاع سياسية قاهرة كالتي سادت مصر وبلاد الشام وبعض الأجزاء من الشمال الافريقي.. وصحيح ايضاً أن بعض منتجات الجماعات المتطرفة قد تسرّبت الى الاجيال الجديدة، ولكن الصحيح أيضاً أن هذه المنتجات لم تغمر خط الاعتدال العريض الذي ساد الامة منذ مطالع القرن الماضي وحتى السبعينات.

كان التطرف الديني معزولاً ثم تحوّل الى ظاهرة جماهيرية جاء عقب ظهور حركة سلفية جهادية أممية تستهوي المعدمين

ومع التحفظ على القراءة الراديكالية للنص القطبي، الذي أضفي عليه لاحقاً (وفي ظل اجواء متشنجة وعدائية) معان ودلالات إضافية في فترة توترات سياسية ودينية في الثمانينيات والتسعينيات، الا أن الخطاب الاسلامي العام كان راشداً وعصرياً ومتحصناً بصورة شبه تامة أمام أية محاولات الاختطاف التي يقوم بها بعض المتشددين، فقد سعت القوى الاسلامية المعتدلة لأن تشارك في عملية التحول السياسي الداخلي أسوة بباقي القوى السياسية الاخرى لما تراه حقاً عاماً، ولم يمنعها قرار الاقصاء والاستبعاد عن الاصرار على التمسك بخطاب ديني معتدل، وعلى حقها في المشاركة في الانتقال السلمي بالامة نحو الحرية والعدالة والمساواة.

في الثمانينات، كان الخطاب الثوري الايراني بلونه الشيعي قد ترك تأثيرات ذات طابع سياسي على الخطاب الاسلامي العام الا أنه لم يستدرجه الى التشدد فقد بقي الاعتدال في حيزه الفكري سائداً.. ومن الملاحظات الهامة في عقد الثمانينات أن الخطاب الثوري الايراني لم يزعزع خطاب الاعتدال الاسلامي العام، رغم ان المناخ الثوري جارف ويدفع نحو الانغماس في العصر الجماهيري الذي أحياه الحدث الايراني.. فقد صنّف صانعو الصحوة الاسلامية مؤلفات رصينة تنم عن وعي شامل بالتحديات المعاصرة وصاغوا خطاباً اسلامياً راقياً، كما ساهموا في تأصيل منظومة مفاهيم اسلامية.

وهكذا نرى في التسعينيات أصبح الاعتدال سمة عامة للفكر الاسلامي الحركي والسياسي العام، فقد تراجع تأثير اللهجة الثورية الايرانية، وبات التأكيد على مبادىء الاعتدال والتسامح الديني والتعددية والحرية الفكرية وحكم القانون والمساواة واشاعة السلام هي المبادىء التي يتسابق المفكّرون الاسلاميون من كافة المدارس الفكرية والاتجاهات السياسية الى انضاجها وتعميمها، الى الحد الذي باتت معه مقولة صدام الحضارات متهافتة. لقد أثبت المفكّرون الاسلاميون بأن نظرية صدام الحضارات لم تكن سوى ذريعة مفبركة لانقاذ الغرب والولايات المتحدة من مأزق الخصم الذي باتت صناعته ضرورة بقاء وتفوق، وربما كان ذلك مخيّباً لآمال واضعي هذه النظرية والمستفيدين منها كونها لم تحرّك نزعة الصراع لدى المعنين بها. ولهذا السبب، كان البحث عن طرف جديد وإن كان

مهملاً يتولى تمثيل الطرف الآخر من أجل تحقيق فكرة الخصم، ولاشك أن العبث بالمنجزات النهضوية الفكرية في منطقة بات التحكم في القوى الفاعلة فيها ممكناً، خصوصاً وأن هذه القوى بقيت مستبعدة عن المسرح السياسي بقرار رسمي عربي.

كانت هجمات سبتمبر خطاً فاصلاً لتحوّل درامي انقلابي في حركتي الافكار والاحداث في الشرق الاوسط وفي العالم بأسره، فمنذ الحادي عشر من سبتمبر بدأت أكبر عملية اختطاف للخطاب الديني الاسلامي أدى أولاً وأخيراً الى اقصاء رموز وثقافة الاعتدال في الامة الاسلامية لصالح قوى التشدد والتطرف.. وهنا بدأ تفعيل التركة الافغانية والتيار السلفي المتصل بها، حيث أُنتهب الاهتمام من الفكر الاسلامي الاعتدالي، وانتقل الى الفكر السلفي الجهادي في شكله التسطيحي، الذي غمر الساحة بخطاب يتميز بالفورانية والانفعالية وفي الوقت نفسه بالاكتساحية.

ومن التوافقات المثيرة للغرابة أن يكون التسطيح والانفعالية سمات لخطاب ديني جديد ينبعث من أفغانستان مركز قيادة تنظيم القاعدة، ومن العراق في وقت لاحق مع ظهور تيار الزعيم الشيعي الشاب مقتدى الصدر في العراق الذي صادر معه تراث السيد محمد باقر الصدر صاحب المؤلف المشهور (اقتصادنا)، وصادر معه شخصيات العراق السياسية والفكرية والحزبية، وأعاد الى السطح شخصيات شبابية أفرزها انقطاع الصلة بين الداخل والخارج الذي سمح لشخصيات مثل مقتدى الصدر والمتحلقين حوله باستثمار محن الناس وحرمانهم الاقتصادي في مشاريع سياسية جماهيرية.

ما يظهر حتى الآن، ان خطاباً راديكالياً تسطيحياً يكتسح الساحة ويكاد يرسم صورة الاسلام في العالم، فيما يذوى الخطاب الديني المعتدل الذي بات مغموراً، باهتاً.. من المفارقات الخطيرة أن يسود الخطاب الديني الراديكالي في مرحلة رشد الامة، فهذا الخطاب لا يجسّد على الاطلاق وعي الامة ولا يعكس منسوب الرشد الذي بلغته، فهذا الخطاب يفصح عن خلل عميق في المسيرة العامة للأمة، لأن ثمة قرصنة خطابية تمت منذ سنوات قليلة تحاول فرض انموذج ما بصورة قهرية واحتساب ذلك الصيغة التمثيلية التي لابد من تسييدها واكراه الامة على القبول بها.. بكلمات أخرى ان الخطاب الديني الراديكالي هو تعبير عن تطور في داخل جماعات تتبنى هذا الخطاب وليس عن تطور في وعي الامة، ومن المؤسف القول بأن هذا الخطاب بات مطلوباً شعبياً واعلامياً.

فمن الملاحظ بوضوح شديد، أن الخطاب الديني الراديكالي بات يحظى بتغطية اعلامية واسعة ضمن معارك وسائل الاعلام العربية والعالمية من أجل المعلومة والصوت والصورة وتلبية لأجندة خاصة، بينما يفقد الخطاب الديني المعتدل وسائل التعبير عن نفسه، لأنه بات غير مطلوب في الحرب الباردة والساخنة بين الولايات



سفر الحوالي وبن لادن: لماذا ساد خطابهما المتشدد؟

المتحدة والغرب والخصوم المحليين.. نجد أن رموز وأنصار الخطاب الديني الراديكالي ينالون من الاهتمام الاعلامي والفضائي منه ما لا يناله كبار المفكرين والعلماء، بل إن تصريحات هؤلاء تتحول الى خبر عاجل ومدوّي.. بصراحة أشد أن الفضائيات العربية باتت ضالعة في عملية تسطيح ثقافي من خلال انكبابها وملاحقتها لأنباء رموز التشدد الديني، المغطى بذريعة أن البقاء على قيد الحياة الاعلامية يتطلب جرعة عالية من الاثارة. إن ألادلجة التي تصبغ نشاط الاعلام العربي والتي تعكس الانقسام الداخلي والتوجهات السياسية والفكرية المتنافرة داخل المؤسسات

الخطاب الاسلامي كان راشداً ومعتدلاً ومتحصناً ضد محاولات الاختطاف من قبل قوى التشدد، والآن بات خطاباً هوجائياً

الاعلامية العربية، كانت لصالح الخطاب الديني الراديكالي الذي بات المشيدون به والمناصرون له هم من مخازن حزبية قديمة يسارية وقومية واشتراكية. ثم جاء الالتحام بين أيتام البعث والمقاومة العراقية بصنفيها السني والشيعي لتؤكد الزواج السياسي بين فريقين متنافرين حد الدموية في مراحل سابقة، ليسفر الزواج عن اعلان وثيقة شرف منتهكة تضطلع وسائل اعلام عربية معروفة الاهداف والتوجهات بالترويج لها ومباركة ابرام العقد الراديكالي.

ونعود للمولعين بالصراعات الكونية غير المتكافئة القوى ونقول بدون شك أن المواجهات الدامية في افغانستان والعراق جنباً الى جنب العبث الاسرائيلي بأرواح الفلسطينيين ومساكنهم تزوّد مناصري اطروحة صدام الحضارات بأدلة قوية، بصرف النظر عن خلفيات تلك المواجهات والاهداف الفعلية من ورائها.. وفي مثل هذه

الحالة، يصبح انصياع رموز الاعتدال لقوى التشدد أو تخفيضهم خيارات مفتوحة فهؤلاء باتوا بصلاحية منتهية في ظل معركة يصبح الأكثر تشدداً هو الحائز على التمثيل الشعبي الأوسع بل وصاحب الكاريزما الذي تناط به مهام ميتافيزيقية موعودة.. فلم يعد لعمق الفكر ورشده سوق كبير فقد احتلت مكانه النشاطية السياسية والعسكرية كمعوّض فاعل ونهائي عن التأهيل العلمي، فليست الكاريزما في زماننا الشرقي تتطلب مستوى علمياً رفيعاً بقدر ما يتطلب مواصفات نفسية وشخصية فريدة، وهذا من رزايا استبدادنا الشرقي أن يتولى على أهله من يدنوهم علماً ويعلوهم صوتاً.

إن ما ظهر حتى الآن هو انتقال مراكز الجاذبية من العواصم العربية والاسلامية التي كانت تحتضن صانعي الخطاب الاسلامي المعتدل الى الرياض، التي باتت تلعب دوراً محوّرياً في صياغة الخطاب الاسلامي وتوجيه القوى الجهادية سواء في افغانستان او العراق، وبلدان اخرى تشهد أنوية حركات جهادية تستلهم من شبكة القاعدة، ومؤدلجيها المحليين أفكاراً في المقاومة ورؤية في اصلاح الكون.

والسؤال هنا: لماذا يسود الخطاب الراديكالي؟

إن من أهم أسباب تفوق الخطاب الديني المتشدد هي على النحو الاجمالي:

١ ـ فشل الخطاب المعتدل في تلبية طموحات القطاع الكبير من الجمهور، سيما في ظل تغوّل وفساد وانحطاط النظام الرسمي العربي بل والاسلامي، بما سمح لخطاب صدامي متشدد بالبزوغ من أحياء الفقراء والمحرومين والتعبير عن تطلعاتهم وأهدافهم المشروعة.

٢ ـ أن الخطاب المعتدل بات ينظر اليه بوصفه متواطئاً مع أنظمة الحكم بل ومبرراً لأفعالها واقترافاتها بما في ذلك تلك التي تخص هموم ومحن الناس.

٣ ـ الخطاب المعتدل خالٍ من المفعول السياسي ولا يرتقي الى التحديات الكونية، فهو خطاب يكاد يكون قطرياً أما الخطاب الراديكالي فهو خطاب عابر للحدود ويقارع أكبر قوة في العالم.

رحيل السيد المالكي.. رمز الحجاز الديني

في التاسع والعشرين من أكتوبر الماضي فقد الحجاز شخصية دينية طالما مثّلت عنواناً للخصوصية الدينية والاجتماعية لهذه المنطقة التي أريد محو هويتها التاريخية والاجتماعية وخصوصياتها الثقافية.. لقد خسر الحجاز رمزاً علمياً وأكبر فقهائها بروزاً والذي تخرج من حلقات درسه عشرات من طالبي العلم والمعرفة، وتزوّد من تراثه العلمي والادبي جمع كبير من الناس في أرجاء عديدة من العالم الاسلامي.

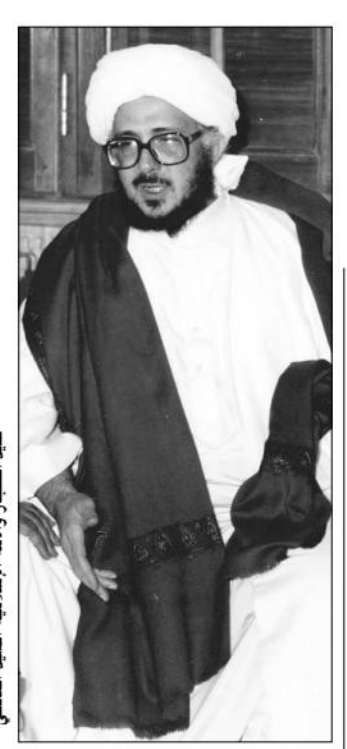
السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي هو ابن مكة المكرمة التي عاش في كنفها، وفيها يتحدر بيت علماء كرام من عائلته، فأبوه من العلماء والمحدّثين البارزين في مكة المكرمة، وكذلك جده الذي عرف باطلاعه الواسع على علوم الفقه والحديث، وكذا حال كثير من عائلته الكريمة. وتعود السيرة العلمية للعلاّمة الراحل بمكة المكرمة الى سنوات مبكرة من حياته حيث التحق بحلقات العلم بالمسجد الحرام، وكذا في مدرسة الفلاح التي تعتبر أول مدرسة نظامية حديثة تفتتح أبوابها في مكة المكرمة، كما انتظم في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم. وقد أكمل العلاّمة الراحل دراسته الجامعية بالأزهر الشريف، وحصل فيها على شهادة الدكتوراه، وقد طاف أرجاء عديدة من العالمين العربي والاسلامي من أجل طلب العلم، فرحل الى المغرب والهند وباكستان وبلاد الشام، وأفاد كثيراً من هذه الرحلات في جمع المخطوطات التاريخية والدينية والاطلاع عن كثب على أحوال المسلمين في هذه الدول، وهكذا لقاء الشخصيات الدينية والعلماء وعقد مجالس الفكر والنظر في المسائل الدينية العامة والقضايا الاسلامية والفكرية المشتركة، اضافة الى كتابة التجارب التي شهدها وعاشها في بعض البقاع التي زارها او أقام فيها لبعض الوقت.

لقد جمع العلاّمة المالكي خلال فترات تحصيله العلمي زاداً معرفياً وفيراً، وعاد الى مسقط رأسه لاستئناف مشروعه العلمي الطموح، الذي كان قد دشّنه منذ أن كان صغيراً حين كان يعقد حلقات الدرس وهو دون سن البلوغ وذلك بأمر وإشراف والده المرحوم السيد علوي المالكي، حيث كان يدرّس الطلبة كل كتاب يفرغ من تلقيّه على والده، وقد جمع الأسانيد على المحدثين والفقهاء في شتى بقاع العالم الإسلامي حتى تحصّل له أكثر من ٢٠٠ شيخ، وقد ضمهم في كتاب منفرد.

وكان العلاّمة الراحل قد أتمّ القراءات السبع على شيخ القرّاء بمدينة حمص بالشام الشيخ عبد العزيز عيون السود الذي يرد إسمه في آخر مصحف الشام، وقد أجازه الشيخ بها، وهذا ما أهلّه لأن يكون عضواً فاعلاً في لجنة التحكيم في مسابقة القرآن الكريم بمكة المكرمة لسنوات طويلة قبل أن يعتذر عن الاستمرار احتجاجاً على تصرفات وسلوك المؤسسة الدينية، كما تم تعيينه مدرّساً في كلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٩٧٠ وبعد وفاة والده السيد علوي المالكي بأيام قلائل اجتمع علماء مكة مكرمة في بيت والده السيد علوي واتفقوا جميعاً على تكليف العلاّمة الراحل بالتدريس في مقام والده في المسجد الحرام. ولكنه فيما بعد قدم استقالته من التدريس في الجامعة من أجل التفرّغ للتأليف والتصنيف واستئناف مشروعه الدعوي في مكة المكرمة وخارجها، وقد أتاح له ذلك المشاركة في عدة مؤتمرات إسلامية عالمية قدم فيها بحوثاً طبع أكثرها.

ضيّقت الدولة الشقة على العلاّمة المالكي بنزعتها الواحدية فأسست لنزعات استقلالية وانفصالية قابلة للتطوير

لقد ترك العلاّمة المالكي طائفة من المؤلفات القيّمة التي تنمّ عن غزارة علمه وعلو كعبه في مضمار الفقه والتفسير والحديث والسيرة النبوية، ومن مؤلفاته: دراسات حول الموطأ، وفضل الموطأ وعناية الأمة الاسلامية به، ودراسة مقارنة عن روايات موطأ الإمام مالك، وشبهات حول الموطأ وردها، وإمام دار الهجرة مالك بن أنس، وكتب في علم الحديث وأصوله ومنها: أسماء الرجال، وعلم الأسانيد، والاثبات، والقواعد الأساسية في علم مصطلح الحديث، والعقود اللؤلؤية في الأسانيد العلوية، واتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنيّة، والطالع السعيد المنتخب من المسلسلات والأسانيد، وكتب في علوم القرآن الكريم منها: القواعد الأساسية في علوم القرآن، والقواعد الأساسية في أصول الفقه، وزبدة الاتقان في علوم القرآن، وكتب عن آثار مكة المكرمة منها: كتاب في رحاب البيت الحرام، وصنف في الشمائل المحمدية وكتاب: الانسان الكامل، وتاريخ الحوادث النبوية، ومؤلفات اخرى عديدة في السيرة النبوية وفضائل المصطفى صلى الله عليه وسلم مثل (الذخائر المحمدية)، وقد طبعت أغلب هذه الكتب في مصر بفعل القرار الغاشم الذي أصدرته الدولة بوحي من المؤسسة الدينية الرسمية التي أضفت شرعية دينية زائفة على قرار حظر طباعة ونشر وتوزيع كتب العلاّمة المالكي في الداخل.


فقيد الحجاز والأمة الإسلامية السيد المالكي

وبحجم الخسارة الفادحة برحيله لدى سكان الحجاز، فإن ثمة شماتة موازية عند الوهابيين النجديين الذين تحوّلت لديهم الخصومة والعداوة غريزة ضارية، فقبل ان يوارى جثمانه الورى في مقبرة المعلا، بدأت حناجر واقلام الكراهية الدينية تقذف بكل ما هو قبيح وممقوت في الاندساس داخل الماضي

بحثاً عن كل ما يعتقده الوهابيون شركاً وضلالاً.

ومن المعلوم أن العلامة المالكي تعرّض لسنوات طويلة لهجوم متواصل من قبل رموز التشدد الديني في المؤسسة الوهابية، ونالته من سهام تكفيرهم وتضليلهم، بل تفنن بعضهم في إكالة أقذع التهم وأقسى أنواع القذف وأقصاها، وكيف لا يكون كذلك، وقد بنى هؤلاء الاستئصاليون عقيدتهم على نفي الآخر بما في ذلك الآخر المسلم. لقد أوغر هؤلاء صدور رجال الحكم السعودي من أجل تشديد قبضة الاستبداد الفكري على المخالفين لتوجهاتهم الفكرية والعقدية، وقد نشأ عن ذلك منع كتب العلامة المالكي من النشر والطباعة والتوزيع داخل المملكة، بل وحتى في المناطق التي يقطنها أتباعه والمتزوّدون من مخزون علمه في الحجاز. كما فرضت السلطات الدينية والسياسية قيوداً متشددة على حلقات درسه، وكتبه، ونشاطه الفكري والاجتماعي، لا لشيء سوى أنها لا تلتقي مع عقيدة المؤسسة الدينية. وحين ضاقت عليه آفاق بلده وبلد آبائه وأجداده، اضطر لطباعة كتبه خارج الحدود وبخاصة في مصر، وحيثما كانت لحرية الكلمة والتعبير مساحة مسموحة.

بيد إن سياسة الاقصاء التي تواطىء السياسي والديني على تنفيذها ضد العلاّمة المالكي لم تحل دون نشر فكره وكتاباته، رغم الضجيج الذي أحدثته تلك الاصوات الاقصائية ذات التوجّه الواحدي. لقد حرمته الدولة وبقرار رسمي غير مكتوب كعادتها المتبّعة في سياسات الاقصاء والابعاد وتكميم الافواه، فصار الخارج أوسع عليه من داخل بلده، وصار صيته في الخارج أعزّ وأوسع من صيته في موطنه، لأن هناك من أراد أن يخمد الاصوات المختلفة، ليبقي على صوت واحد ينطق به الجميع كرعاع أتباع كل ناعق.

لقد انبرت أعلى مؤسسة دينية في هذا البلد ممثلة في هيئة كبار العلماء لاصدار تحريمها الكنسي ضد العلاّمة الراحل، وتفنّن معدّو البيانات وفتاوى التفكير في رص العبارات الاقصائية مثل (نشر البدع والخرافات والدعوة الى الضلال والوثنية). ولم يكتف هؤلاء بأحكام التكفير بل فرضوا حصاراً فكرياً صارماً على نشاطه الدعوي والفكري، وضيّقوا الآفاق على حركته، تحت ذرائع مختلفة لتبرير تلك النزعة التنزيهية المقيته التي تحرم الآخر من حقه في التعبير عن رأيه بحرية.

وكانت هيئة كبار العلماء في السعودية أصدرت بيانا وصفت العلاّمة الراحل بالعديد من الأوصاف المشينة، الى حد التساهل في اصدار التهم جزافاً من قبيل دعوة مريديه بحلق اللحى وعدم حضور المساجد وعقد موائد خاصة لمريديه وأتباعه، وهي إتهامات عكف العلماء الوهابيون على توجيهها لتجريد من هم على غير طريقتهم كل حق في التعبير عن الرأي بل والبقاء البيولوجي، حتى توهّم هؤلاء، عن طريق التسلل الى النوايا وتنطيق المعاني غير الواردة في نصوص كتب العلاّمة، بأن ثمة انحرافات فكرية فيها من أجل تبرير أحكام جائرة ضده كما في قراءة هيئة كبار العلماء لكتابه (الذخائر المحمدية) الذي صوّره أعضاء هيئة كبار العلماء على غير مراد مصنّفه، فعدّوه من كتاب الضلال كونه ينطوي زعماً على مبالغة في توصيف شمائل المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وقد أعدّ هؤلاء بياناً لمجلس الوزراء الذي يرأسه الملك من أجل اتخاذ قرار منع طباعته ونشره بل وملاحقته حتى خارج المملكة، بل طالبوا بأن تتدخل الحكومة لدى السلطات المصرية من أجل وقف طباعة ونشر الكتاب باعتبار مصنّفه من (أعداء الاسلام!) وتثبيت مكانه الكتب المشتملة على السنة الصحيحة ونشر العقيدة الحق التي يراها الماسكون بزمام الجهاز الديني الذي لا يضم سوى من هم على العقيدة الوهابية. لقد سمح هؤلاء لأنفسهم التطاول على الرموز الدينية في الحجاز وتمادي واضعو البيان في غيّهم الى حد وصف العلاّمة المالكي بأنه (داعية سوء ويعمل على نشر الضلال والبدع) وأن كتبه تدعو الى الشرك والوثنية! متغافلين عن حقيقة واحدة بأن العلاّمة الراحل هو سليل عائلة علمية ودينية معروفة بالصلاح وتحظى

سياسة الاقصاء التي تواطأ السياسي والديني على تنفيذها ضد العلاّمة المالكي فشلت رغم صخب التوجّه الواحدي

بالاحترام والتقدير من قبل أهل الحجاز، فكيف سمح هؤلاء لأنفسهم بالنيل الرخيص من شخصية دينية واجتماعية جليلة، سوى كونه يختلف مع اجتهادات علماء المؤسسة الدينية الرسمية.

إن جنوح علماء المؤسسة الدينية الرسمية الى منع المخالفين لإجتهاداتهم من نشر مؤلفاتهم وأفكارهم في الداخل قد تجاوز الحدود، فألحقوا ذلك بمحاكمة ما ينشر في الخارج، حتى أن لجنة تشكّلت من علماء المؤسسة الدينية الرسمية مؤلفة من رئيس مجلس القضاء الاعلى السابق الشيخ عبد الله بن حميد والمفتي العام السابق الشيخ عبد العزيز بن باز، والرئيس العام السابق لشؤون الحرمين الشريفين الشيخ سليمان بن عبيد من أجل عقد محكمة تفتيش عقائدي للعلاّمة المالكي ومع ذلك فقد بدّد كافة اتهامات اللجنة التي استندت فيها على (قيل لي) و(نقل لي من أثق به) و(أطلعني ممن لا يرقى اليه الشك) وباقي الآليات المجروحة علماً وعقلاً، حيث أن تلك الاسانيد ترجع الى أشخاص غير محايدين ومتشبعين بالعداوة والخصومة للعلاّمة المالكي.

وحين رفض المالكي الاستجابة لشروط اللجنة الباعثة على الازدراء والسخرية من قبيل التخلي عن معتقداته والاقرار بارتكاب أمور شركية وبدعية في كتبه، بل وأن يتم الاعلان عن ذلك في وسائل الاعلام، لجأ هؤلاء الى تطبيق العقوبات من قبيل حظر جميع نشاطاته في المسجد الحرام، ومن الاذاعة والتلفزيون، وفي الصحافة، والمنع من السفر للخارج. إن تلك الوسائل الرخيصة في تجريد حق الآخر من التعبير عن رأيه لا تختلف كثيراً عن محاكم التفتيش في أسبانيا في العصور الوسطى، ولذلك كان من الطبيعي ان يرفض العلاّمة الراحل وبشدة الخضوع لمثل تلك الأساليب الفجّة والهابطة، وأن يتمسك بما صنّفه بيده، باعتباره مجهوداً ذاتياً مستقلاً، بل ورفض كل ما جاء في رسالة الشيخ بن باز بما في ذلك اعلان التوبة!

وقد بقيت العلاقة بين العلاّمة الراحل والدولة السعودية مقطوعة بل ومتوترة تماماً كما هي حال العلاقة مع الرموز الدينية في الحجاز وربما في المناطق الاخرى الذين حرموا من حق مزاولة النشاط الفكري.. وقد خسرت الدولة بهذه السياسة الاقصائية بقاء العلاّمة الراحل بعيداً عن دوائر تأثيرها وخارج الفضاء الفكري والسياسي الذي أرادت احتواء الرموز المحليين بداخله، فقد ضيّقت الدولة الشقة عليهم بنزعتها الواحدية فضاقوا ذرعاً بالبقاء تحت نفوذها، ولم تكن تدرك بأنها بهذه السياسة قد أسست لنزعات استقلالية وانفصالية قابلة للتطوير في مراحل لاحقة، فليس هناك عاقل يمنح ولاءه لجهة تمارس كافة أشكال النبذ ضده.

ولقد تنبّهت القيادة السياسية الى شناعة الاقصاء، ولكن في فترة بدأت تشهد فيها الدولة تصدّعاً داخلياً خطيراً، مما اضطرها لاحتضان من أدرجتهم على قائمة الخصوم العقائديين، وقررت التكفير عن تكفيرها فدعتهم الى حضور مؤتمر الحوار الوطني وأرخت حبل الاستبداد الفكري من أجل دفع الاتهامات الباطلة التي انبثت في وسائل الاعلام الرسمي وغير الرسمي، وأعادت لهم جزءا من حقهم المسلوب منذ أكثر من عقدين في التعبير عن إجتهاداتهم ومجهوداتهم الذهنية المستقلة، والتي لم ترق لمحتكري الحقيقة وأدعيائها.

دلالات مكتومة

بيان التيار السلفي حول المقاومة في العراق

بلغة مباشرة وذات إيحاءات شديدة البلاغة أصدر ستة وعشرون من أقطاب التيار السلفي الناشط في السعودية من أساتذة الفقه والتفسير والعقيدة والدراسات الاسلامية العامة في الجامعات الاسلامية في الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة وهكذا مشرفين على مواقع اسلامية على شبكة الانترنت، أصدروا بياناً مفتوحاً للشعب العراقي في الثاني والعشرين من شهر رمضان الموافق الخامس من نوفمبر الجاري. وقد جاء البيان عقب أنباء عن قرب موعد اجتياح مدينة الفلوجة التي يتحصن فيها أفراد المقاومة من جنسيات عربية مختلفة.

خلفية البيان ودلالاته

لقد ثبت من خلال تسلسل الاحداث وتطوّرها منذ سقوط نظام صدام حسين بأن العراق فتح شهيّة علماء المؤسسة الدينية، وبخاصة الطبقة الثانية في التراتبية العلمائية في المجتمع الديني النجدي، سيما وأن هذه الطبقة تشعر بالتحرر من التزامات المؤسسة.. لقد فتح العراق شهية خاصة لدى أفراد هذه الطبقة، وبهذا تحوّل هذا البلد كما أفغانستان مصباً لاحتقانات الخارج، وأيضاً تجسيداً للمهام المعطّلة في البلدان التي قدم منها المنخرطون في مشروع المقاومة بما في ذلك جهاد المشركين.. لم يكن لدى افراد هذه الطبقة اهتمامات خارج الحدود، ولكن منذ انهيار البرجين وتحوّل السعودية الى دولة مستهدفة، ليس كمؤسسة حكم فحسب بل ومؤسسة دينية أيضاً، حيث بدأ الحديث يدور عن تخفيض شديد لدور هذه المؤسسة في الحياة السياسية.. ثم جاء العراق وتحوّلاته السياسية الكبيرة والتي تضمنت مخاوف من اختلال ميزان القوى الداخلي لصالح الشيعة المناوئين تكوينياً للحركة السلفية حيث ظهر اول بيان لأفراد هذه الطبقة باسم الامة يحذّر فيه من انهيار الحكم في العراق ويطالب الامة بالوقوف الى جانب أهل السنة في العراق كيما لا يقع الحكم في أيدي الشيعة.. كان ذلك قبل اندلاع الحرب.. ثم لما وضعت الحرب العسكرية النظامية اوزارها وزال النظام، كان افراد هذه الطبقة يصدرون الفتاوى تباعاً والداعمة لحركة مقاومة قوات الاحتلال بل وكانت تدفع أفراد التنظيم الجهادي في الداخل للانتقال الى العراق وتعهّدوا لهم بتوفير مصادر تمويل وتهريب وتسلل الى العراق.. اضافة الى التغطية الشرعية المتصلة.

إن الربط بين عمليات المقاومة في العراق وأفراد هذه الطبقة من الموقّعين على البيان وثيق وبخاصة في مجال شرعنة المقاومة، التي التصق بها من المخازي من قبيل قتل الاسرى والخطف والمساومات المالية على ارواح البشر والسرقة العلنية وغيرها من الفضائح المثيرة للازدراء.

لقد قيل كلام كثير عن مصادر التوجيه والافتاء لدى المنخرطين في عمليات المقاومة، وجاء البيان ليؤكد الارتباط العضوي والتوجيهي بين الموقّعين وبعض المنخرطين على الاقل في عمليات المقاومة داخل العراق، ولعل لغة البيان توحي بتلك العلاقة الوثيقة والمستجدة مع العراق الغائب في الاجندة السلفية لعقود طويلة. غير أن أهم دلالات البيان هي على النحو التالي:

١ ـ إن محتويات البيان توحي بإعتقاد الموقّعين بأنهم وحدهم الجهة المخوّلة بتمثيل الامة، وهم أصحاب الصوت الشرعي الأعلى والنهائي فيها. إن ثمة تعالياً واضحاً في لهجة البيان بتلك النزعة التعليمية التي يحاول الموقعون تثبيتها عن طريق إبلاغ الشعب العراق بقائمة توصيات في البناء والاعمار والوحدة والتعامل الشرعي مع المصالح العامة..

٢ ـ إن أعضاء التيار باتوا على قناعة بأنهم يمثلون قوة توجيهية رئيسية ليس في العراق وحده بل وفي داخل المملكة، ولها أتباع ومناصرون وهناك من يمتثل لإملاءاتهم.. في الواقع ان البيان ينطوي على نزوع شديد نحو تجاوز النظام المراتبي الديني السائد في المملكة، فالبيان يوحي بأن الموقعين قد كسروا احتكارية التوجيه الديني المزموم بلجام السلطة، وبالتالي فإن الموقّعين كسروا حاجز الصوت في الفضاء الديني أولاً والفضاء السياسي ثانياً، حيث ألغوا من الناحية العملية الوصاية الدينية لهيئة كبار العلماء، كما تحرروا من قيود السياسي وهيمنته على القرار الديني..

وصف أحد كتاب موقع الساحة على شبكة الانترنت الموقّعين على البيان بأنهم (مجموعة من علمائنا الكرام الذين لا زال لديهم بقية من رفض الباطل (مهما جُمِّل ومهما زين!!) ومن مؤازرة المظلوم والوقوف في وجه الظالم وإرهابه ووحشيته.. إنهم ثلة مباركة من أصحاب (الضمير الحيّ).. ممن لم يتلوث دينهم بالنفاق... و تتلوث أخلاقهم بالكذب... وممن لم تتلوث عقولهم بالشر والإجرام... وممن (وهذا هو الأهم) لا زالوا يخافون الله عز وجل... وممن أبوا إلا أن يترجموا ما يشعر به كل إنسان (شريف) في بلادنا من الألم والقهر وقلة الحيلة...

إن ما صرح به هؤلاء العلماء الذين يمكن بحق تسميتهم (هيئة كبار العلماء الحقيقية) لهو بحق لسان حال شعبنا المغلوب على أمره والمضطهد في وطنه والمقموع حتى من مجرد إبداء أي رأي يخالف رأي البيت الأبيض أو يتعارض مع إرهابه الذي طال حتى شعبنا...

إن هذا البيان ليعيد للناس بعض الثقة التي فقدوها في كثير من علماء هذا العصر (الرسميين) الذي جعلوا دين الله عز وجل وسيلة لإستعباد الإنسان ولإخضاع الشعوب. لقد أصبح كثير من الناس ينظر إلى المناصب الدينية وشاغليها نظرة إزدراء واحتقار... لأن كثيراً ممن تولوا تلك المناصب خانوا الأمانة التي أؤتمنوا عليها وخانوا دين الله عز وجل بطعن الصالحين في ظهورهم وتبرير الجرائم للمجرمين والقتلة...).

٣ ـ إن البيان يترجم إحساساً عميقاً لدى الموقّعين بأنهم متهّمون في تشجيع العمليات العسكرية في العراق في أشكالها الوحشية واللاإنسانية، الامر الذي اضطرهم لشرح وجهة نظرهم وربما تعديلها بعدم استهداف المدنيين.

٤ ـ أن ثمة رسالة يبعث بها الموقّعون على البيان لأفراد الجماعات الجهادية في داخل السعودية بنقل عملياتهم الى العراق وتوجيه ضرباتهم ضد قوات التحالف، وقد حدث أن قام بعض رموز التيار السلفي مثل الشيخ سفر الحوالي والشيخ محسن العواجي وغيرهما بإقناع أعضاء التنظيم الجهادي في المملكة بالهجرة الى العراق والانضمام الى قوافل المجاهدين ضد المشركين وأهل الضلال في العراق. وهذا البيان جاء ليؤكد شرعية الجهاد على العراقيين وغيرهم واعتبار ان مساعدة الشعب العراقي في مقاومة المحتلين واجب شرعي على كل مسلم.

قراءة أولية في البيان

لم يخفِ الموقّعون على البيان الموجّه (الى الشعب العراقي المجاهد) خلفية التوقيت، حيث كان الدافع وراء صدوره هو (الحال الاستثنائية) التي يمر بها العراق بحسب البيان، ولا نظن أن الحال الاستثنائية قد تطلبت هذا العناء من الجهد من أجل تركيز البيان حول معركة الفلوجة المنتظرة، بالرغم من أن أحوالاً استثنائية اخرى سابقة قد شهدتها مناطق أخرى من العراق دون أن يكلّف الموقعون أنفسهم عناء صياغة بيانات مماثلة، فهذه الاستثنائية لم تكن عراقية بالمعنى الجغرافي الشامل، وإنما بالمعنى الاقليمي والايديولوجي، أي باعتبار أن الفلوجة تحوّلت الى حصن للمقاومة الخاضعة تحت تأثير التوجيه الايديولوجي في المملكة، فكتائب المجاهدين المتدافعين من خارج الحدود الى الفلوجة يستلهمون من فتاوى الموقّعين معانٍ خاصة في الجهاد والمقاومة تماماً كما هو الحال بالنسبة لقوى المقاومة الاخرى في أرجاء من العالم.



عوض القرني ـ الحوالي ـ العودة : رموز التشدد والعنف

من الغريب، أن العراق الذي كان يوصم بعش الفتن والشقاق في الادبيات السلفية، حتى أن أحدّهم تأول تعسفاً الحديث المروي عن المصطفى بأن نجد هي مصدر الفتنة واليها تعود بأن المعني بها العراق، ولكن بات الاخير الآن بلداً مسلماً يخاف عليه ويجتهد الموقعون في حفظ مصلحة أخوانهم المسلمين (في هذا البلد العريق)!

وكما هي العادة المتبّعة فإن تدبيج البيانات باللغة الدينية الطافحة بالآيات الكريمة والاحاديث النبوية مسلكاً معهوداً يراد منه إحتكار المشروعية الدينية وحق استعمال النصوص المقدّسة في معارك سياسية محضة.

لقد نبّه الموقّعون الى خطورة الدوافع الحزبية والفئوية والمطامع الدنيوية، وهو تنبيه كان ضرورياً قبل أن تسيل الدماء في شوارع العراق على ايدي الانتحاريين الذين يلبّون نداء خارجياً يطلقه المحتكرون للحقيقة الدينية الخالصة. فتلك الدوافع لم يجر التنبيه لخطورتها في عمليات زرع المتفجرات والشاحنات المفخّخة وعمليات الخطف العابث وسحل الابرياء، فلماذا الدم يسترخص حين يسيل من أجساد من هم على غير أهل دعوة الموقّعين على البيان.

إن إمضاء العدل والانصاف لا يتحقق حصرياً في ظروف استثنائية (كما في حال الحرب على الفلوجة) بل هو قانون شرعي وانساني لا يخضع لتبدّل الظروف والاحوال.. كنا ننتظر بياناً من هذه الفئة المتصدّية لقضايا الامة، يحذّر من الفتنة والانقسامات الداخلية قبل ان يحيق الخطر بالفلوجة معقل المقاومين. فتلك الفتنة أطلّت برأسها منذ أن تسللت الى العراق جماعات نصّبت من نفسها القوة المنافحة عن الشعب العراقي وأرضه وتاريخه وحضارته، وكأنه ليس العراق الذي تعلمنا منه جميعاً معاني المقاومة والتحدي ضد الاستعمار، وكأنه ليس العراق الذي انطلقت منه حركات المقاومة الشعبية منذ العشرين من القرن الماضي.

لم يتسلل الشقاق الى جسد هذا الشعب حين كانت تلتقي زعامات العراقية الدينية والسياسية والاجتماعية على كلمة سواء في مواجهة المحتل الاجنبي، ولم يعرف العراق التقسيمات المذهبية والمناطقية قبل أن يبعثها طواغيت السياسة، ثم أذكاها القادمون من خلف الحدود.. كان التزاوج والتداخل الاجتماعي قائماً بين فئات الشعب العراقي دون نظر الى الانتماءات المذهبية والقومية والاجتماعية فكان السني يتزوج من شيعية وبالعكس، والعربي من كردية وبالعكس، حتى أصبحت الانساب متظافرة متداخلة.. ولم يفهم العراقي لهجة التمذهب قبل وصول جحافل المقاومين، بل كان التخاطب على أساس سني وشيعي ممقوتاً بل ومجهولاً، واذا بالعراق يصبح على أيدي القادمين الجدد خاضعاً لقسمة مذهبية بعد سقوط الصنم، وكل ذلك لأن في خارج الحدود أصواتاً تحاول نقل أمراضها الى داخل العراق.

إن الحديث عن الرؤية الواقعية وفهم الخارطة الداخلية للعراق كان لفتة هامة في بيان الموقّعين ونأمل أن يصيغوا بياناتهم ومواقفهم في قادم الايام على ضوء تلك الرؤية والفهم، لأنها وحدها الكفيلة باخراج العراق من محنته السياسية وسيما الطائفية منها والتي تندس اصابعنا فيها على مدار الساعة.

ولذلك قبل أن يوصي الموقّعون على البيان الشعب العراقي بعدم إيذاء رجال المقاومة، أو الابلاغ عنهم، كان يفترض ان يوصي هؤلاء المقاومين بضرورة احترام الارواح التي تزهق بغير رحمة وبلا هوادة، وتجنّب اسالة محجمة من دم قبل تأمل طويل وادراك عميق لحرمة الانسان، ليس على طريقة أولئك المسترخصين لدماء وأرواح ومصائر البشر حقاً كان ام باطلاً.. كان يفترض أن يوجّه المنبريون بيانات شديدة اللهجة ضد تخريب المنشآت النفطية والعامة، واستعمال الابرياء دروعاً بشرية في المباني العامة التي يتحصن فيها هؤلاء المقاومون، أو أن يفخخوا المباني السكنية أو يملأوا الطوابق السفلية بكميات كبيرة من المتفجرات رغم علمهم بأن فوقها ينام النساء والاطفال وكبار السن، ويعدّون ذلك من أعمال المقاومة.. المقاومة قبل أن تبدأ ضد الآخر المحتل والطاغوت، هي مقاومة ضد شرور النفس وغلوائها، أين ذهب تعليم المصطفى صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم بأن الجهاد الأكبر مقدّم على الجهاد الاصغر، أليس جهاد النفس من أشرف أنواع الجهاد لأنه وحده الحصن الحصين ضد انحراف المسيرة وانبعاث الاطماع الدنيوية.

ألم تكن عبارة (حفظ دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم) أولى بالجأر بها منذ اليوم الأول لسقوط الصنم، فلماذا يصبح الخوف من الخسارة السياسية الدنيوية محركاً نشطاً على بيانات لا تصدر الا حسب الحاجة الخاصة، والمصلحة الخاصة، ولحساب الجماعة الخاصة.. فهل الدماء تقاس بالمصالح أيضاً، أم أن الدماء البريئة لا تكون كذلك الا حين ينزفها رجال المقاومة اما المتساقطون في الشوارع العامة وفي داخل المباني وعلى نقاط تفتيش استثنائية ينصبها قطاع الطرق فيقتلون وينهبون بإسم المقاومة، فدماؤهم مستباحة فلا ينفر لها العلماء بل ينفروا منها.

وعلى أية حال كان استدراكاً صائباً وإن جاء متأخراً من قبل الموقّعين على البيان المفتوح للشعب العراقي، التشديد على قطع دابر التأويل في دماء المسلمين والأبرياء من عراقيين وأجانب سيما أولئك الذين جاءوا بنيّات صافية لتقديم خدمات إنسانية جليلة لشعب العراق المظلوم.. ستحسب للموقعين يقظتهم المتأخرة فيما يتصل باستسهال الدماء المهدورة في الشهور الماضية، وإن ارتبطت اليقظة بالمعركة الجائرة على الفلوجة، التي ندعو الله ان يحقن فيها دماء الابرياء ويحفظ فيها المال والعرض.

وسيحسب للموقّعين إحساسهم المتأخر أيضاً بخطر التفكك في العراق، على خلفية مذهبية او قومية، خشية وقوعه فريسة لمؤامرات خارجية، وإن كان الاحساس مرتبطاً أيضاً بتداعيات التفكك على العراق وعلى دول الجوار بما في ذلك السعودية.

لاشك أن البيان حوى نصائح ذات بعد انساني وقبل ذلك الهي كالدعوة (الى الاصلاح والبناء والاعمار المادي والمعنوي والاعمال الانسانية والتربوية والعلمية والمناشط الحيوية) وهي دون شك مهمات منتظرة واستراتيجية في العراق في المرحلة القادمة، ولاشك أيضاً أن العمل الجماعي والمؤسسي هو الآلية الفاعلة في مرحلة البناء الشامل للعراق المتهدم على يد طواغيته السابقين.. ولا شك أيضاً أن الارتقاء فوق الانتماءات الخاصة المذهبية والقومية والاجتماعية هو السبيل الوحيد لاعادة بناء الوحدة الوطنية والضمانة الوحيدة لتماسك الشعب والتراب العراقيين. وهي نصائح على أية حال صالحة للتطبيق في كل بلد بما في ذلك المملكة التي تعاني من نفس الامراض المشار اليها سلفاً.

الطريق الى كابل

وجه مستور للشرق الاوسط

انتخابات الرئاسة الاميركية كانت ذات نكهة خاصة هذه الدورة، فقد وصفت بأنها أشبه ما تكون بانتخابات محلية في دول عديدة من العالم. الأهم في هذه الانتخابات هو المردودات السياسية المتوقعة، فهناك كثير من الدول عوّلت كثيراً على بقاء أو رحيل الرئيس بوش، فالذين أرادوا بقاءه يتطلعون الى استكمال ما بدأه من مشاريع سياسية كما في أفغانستان والعراق، وتراهن قوى سياسية معارضة الى أن تحظى بلدانها بالاحتلال!!.. في المقابل هناك عدد كبير من الحكام العرب والعجم من راقب بقلق شديد وطمع أشد في نجاح جون كيري بالرئاسة من أجل وضع حد لكابوس بوش الذي دام أربع سنوات، وهي الفترة التي تهاوت فيها الاحلاف، وتمزقت فيها الروابط بين الولايات المتحدة ودول عديدة في العالم على أساس القسمة التي وضعها الرئيس بوش بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر إما معنا أو مع الارهابيين أو إما معنا أو ضدنا.

كانت إنعاكاسات عهد الرئيس بوش بالغة القسوة على الحكومة السعودية، فقد فجّر تورط خمسة عشر سعودياً في هجمات الحادي عشر من سبتمبر دع عنك سعودية الاعضاء القياديين في شبكة تنظيم القاعدة ومصادر تمويلها، فجّر قضية ذات انشعابات تتداخل فيها العناصر السياسية والأمنية الى تصفية حسابات قديمة الى البعد الايديولوجي.

ولم يكن (الطريق الى كابل) سوى طريقاً الى وضع قصة الجهاد الافغاني بكافة أطرافها وأهدافها وتداعياتها تحت مجهر يحاول الجميع أن يسدل عليه طبقة سوداء، فتلك القصة ليست نزيهة تماماً.. في افغانستان أريد للحقيقة ان تطوى سريعاً، فقد تم اخراج القوات السوفييتية وبتر جذور الالحاد الشيوعي، وهذا وحده الجانب الذي أريد له أن يسود وأن يتم تلقينه لكل الذين لفظتهم أجواف بلدانهم الى خارجها ولكل من سقطوا تحت موجة الدعاية الكثيفة التي كان الجميع يطلقها بما فيها حركات الجهاد الافغاني وهكذا الافغان العرب..

بالنسبة للسعودية فإن رحيل بوش من البيت الابيض سيغلق ملف سبتمبر ـ ولو جزئيا على الأقل ـ بكل أسراره وعقوباته، لأن بقاء هذه الملف مفتوحاً يعني المزيد من التحقيق في التاريخ، ونبش قبور المجاهدين، وملاحقة مصادر تمويلهم، وكشف أنباء اللقاءات السريّة وشبكة انتقال الافراد والاموال عبر عواصم عالمية قبل ان تصل الى مثواها الاخير.

في عهد الرئيس بوش، بلغت العلاقات السعودية الاميركية مرحلة من التدهور لم تشهدها من قبل، فلأول مرة يصبح أمراء كبار مثل وزير الدفاع الامير سلطان ووزير الداخلية الامير نايف على قائمة المطلوبين في الولايات المتحدة من أجل التحقيق في تورطهم في أعمال إرهابية كتمويل لنشاطات جماعات مرتبطة بتنظيم القاعدة... ولأول مرة يصبح السعودي مواطناً ومسؤولاً موضع شبهة، ويخضع للتحقيق والرقابة في مطارات غربية عديدة، بل إن دولة مثل سنغافورة كانت تطلب كفيلاً للمتقدمين من هذا البلد بطلب تأشيرة سفر. في حقيقة الأمر، خلال أربع سنوات من عهد الرئيس بوش تغيّر كل شيء بالنسبة للسعودية ومواطنيها، وباتت الأغلبية تدفع حماقات واقترافات أقلية في مؤسستي الحكم والدين. لقد تم هدر بلايين الدولارات على مشاريع دعوة تخفي بداخلها مضامين انفجارية، وتواطئات سريّة يشارك فيها عملاء السي آي أيه مع قوافل المبشّرين الذين أخذوا على حين غفلة وبلاهة للانخراط في عمليات استخباراتية معقدة. وكانت النتيجة أن الأخطاء الحمقاء حققت مكاسب كبيرة، فقد ألهبت اقترافات سبتمبر نزعات الابتزاز التي لم تتوقف عند حد معاقبة المتورطين في تلك الهجمات الانتحارية بل طالت المنطقة والعالم.. كان تغيير طبيعة النظام الدولي، والتحالفات الثنائية شكلاً ومضموناً بحاجة الى حدث ضخم كيما يجعل التغيير مشروعاً وقبل ذلك ممكناً، فبعد سقوط الاتحاد السوفييتي أصبح العالم رتيباً ولم تعد قوانين الطبيعة والجدارة الذاتية وحدها الشروط الضرورية والوحيدة للبقاء، إذ لا بد من صناعة الأزمات وتفجيرها كيما يحقق الأقوياء شروط بقائهم وتفوقهم.

كانت الحرب العراقية الايرانية الساتر الامامي لساحة الجهاد الافغاني، الحاضنة لفائض الاحتجاج في دول المنطقة



أفغنة العراق سعودياً

كانت طهران وبيروت تتقاسمان في الثمانينات الصراع الدولي مع الولايات المتحدة ثم انتقلت مراكز جاذبية الحرب الكونية الى كابل وبغداد، وربما الرياض ودمشق في وقت لاحق. كل الحروب الخفية تصل لحظة استعلان حين يراد تدويلها، أو تعديل ميزان القوى الاقليمي او الدولي.

كانت الحرب العراقية الايرانية الساتر الامامي لساحة الجهاد الافغاني، تلك الساحة التي امتصت واستثمرت الفائض الاحتجاجي المحلي الثابت والكامن في بلدان عديدة من دول المنطقة، فكانت التعبئة الشاملة مفتوحة على وسائل وخيارات عمل متنوعة، فقد اصبحت المساجد مراكز تجنيد للمحاربين في كتائب الجهاد، فيما كانت حملات التبرع تمتد من أكوام العلب المنتشرة في المساجد والمحال التجارية ومراكز التسوق ومحطات التزوّد بالوقود، الى مبانٍ ومؤسسات الحكومة.. كل المتبرّعين يلبّون نداء مفتوحاً ومتصلاً من أجل الفوز بالمشاركة في مشروع الجهاد ضد الالحاد السوفييتي. وكانت دول عربية محددة مثل مصر والسعودية والجزائر تمثل خزّانات بشرية ولوجستية لمشروع الجهاد، وكل ذلك تحت إشراف المسؤول الاميركي المقيم في القاهرة.

كانت افغانستان تمثّل معركة حاسمة للحرب الباردة بين الشرق السوفييتي والغرب الاوروبي والاميركي، وكان من الطبيعي ان يكون حلفاء المعسكرين في الشرق الاوسط شركاء في تلك الحرب، وكان لابد للحلفاء ان يؤطّروا مشاركتهم في تلك الحرب دينياً وسياسياً، فلكل دولة أن تستمد من خطابها الخاص ما تبرر وتشجّع الانخراط في تلك الحرب.. فللولايات المتحدة أن تضعها في اطار الحرب الباردة ضد المعسكر الشرقي، وللسعودية مثلاً أن تضفي عليها حرباً دينية ضد الالحاد الشيوعي، ولعل في ذلك ما يكفي للتعاون الثنائي والتنسيق، بل و(تديين) الحرب في افغانستان لتصبح جهاداً.. وهذا لا يبرر على وجه الاطلاق الغوغائية والبشاعة الشيوعية السوفييتية واجتياحها الأخرق والهمجي لبلد آخر ذي سيادة وحكم وشعب.

على أية حال، فإن ثمة قصة في افغانستان كتبت فصولها أطراف عديدة: الولايات المتحدة، الدول العربية المشاركة في مشروع الجهاد الافغاني، باكستان وروسيا، الحركات الافغانية، الافغان العرب.. هؤلاء جميعاً ضالعون بصورة مباشرة في قصة الجهاد الافغاني، ويدركون تماماً متى وكيف انطلق ركب الجهاد وماذا أفرز في منتصف الطريق وتداعياته، والخطوط الخفية والدقيقة لهذا المشروع، ثم التحوّلات الدراماتيكية في ميزان القوى الداخلية الافغانية لصالح حركة طالبان، تلك الحركة المحفوفة بكل شك مشروع، ثم بزوغ شبكة تنظيم القاعدة التي تحوّلت الى الحاضن الأكبر للمجاهدين العرب والمسلمين الذين توافدوا من كافة أرجاء العالم الى افغانستان. كل ذلك كان يدور في أجواء وديّة بين تلك الاطراف جميعاً، باستثناء الطرف السوفييتي المستهدف الأول ـ وليس الأخير ـ في مشروع الجهاد الافغاني.

في الواقع، كانت نهاية الحرب الايرانية ـ العراقية في يوليو ١٩٨٨ ثم سقوط الاتحاد السوفيتي في السنة التالية وضعا حدّا لأية تساؤلات حول قصة الجهاد الافغاني، لولا أن الافغان العرب الذين عادوا الى بلدانهم أولاً في الجزائر ثم مصر وهكذا نقلوا خبراتهم الجهادية الى بلدانهم، خصوصاً وأنهم جاءوا محمّلين بطموحات ترتقي الى مستوى الالتحام بالقوة الثانية في العالم، والاطاحة السياسية بأنظمة حكم عميلة.. فهؤلاء لم يتم استيعابهم في بلدانهم، ولم يخضعوا تحت برامج إعادة تأهيل فكري واجتماعي قبل ادماجهم في المجتمع.. فقد عاد اسامة بن لادن بطموح فيصل الدويش الذي أراد أن يتولى حكم المدينة بعد احتلال الحجاز عام ١٩٢٦، أما أسامة فقد أراد أن يصبح قائداً في الجيش وأن يضطلع بدور كبير في المؤسسة العسكرية وقد وضع خطة عسكرية في حرب الخليج الثانية ١٩٩١ من أجل مواجهة خطر عدوان محتمل تقوم به قوات صدام حسين.. لقد عجزت الدولة السعودية عن استيعاب الرجل الطموح في جهازها، الامر الذي أبقى لهيب التطلعات الكبيرة مشتعلاً ليس في صدر وذهن أسامة بن لادن فحسب، بل وفي مئات القادمين من افغانستان الذين لم تعد الحياة الرتيبة تمثل مكافأة مغرية تستحق التحرر من الاحلام الكبيرة. إن واحدة من أشد إخفاقات الدول التي انطلقت منها كتائب المجاهدين العرب الى افغانستان هي عجزها عن اعداد خطة استيعاب وادماج للعائدين، فقد اعتقدت هذه الدول بأن ريثما يعود المجاهدون من سوح القتال منهكين ستقابلهم الدنيا بمغرياتهم وسينشغلون بالحياة الخاصة والوقوع في فخ ثالوث البيت، الزوجة، والوظيفة. ولكن على العكس من ذلك، فإن افغانستان وانتصار مشروع الجهاد قد صنع وعياً أخروياً وبطولياً يصعب ادراكه بالنظر المباشر، فهناك عالم آخر قد تشكل في أذهان المشاركين في الجهاد الافغاني..



هل هناك مفاجأة في العلاقات؟

لم يكن مفاجأة أن لا تضع نهاية الجهاد الافغاني حداً لحركة المهاجرين في شكلها الارتدادي، فقد ضاقت الدول المصدّرة للمجاهدين عليهم، واتسعت الدولة المستوردة حتى أصبحت وحدها المكان الذي يمكن للمجاهدين ان يحققوا على أرضها وفيها حلماً قديماً.. أي اقامة دولة الامة أو الخلافة.. فقد خرج اسامة بن لادن من بلاده في السنوات الاولى من العقد التسعيني باتجاه السودان، والتي لم يقم فيها طويلاً كيف وهناك سابقة في هذا البلد حيث تم تسليم كارلوس الى الحكومة الفرنسية، ويخشى أن يقع ضحية مساومات سياسية سرية. عاد الى افغانستان تاركاً وراءه مشاريع اقتصادية مربحة واخرى طموحة في مراحلها الاولى.. عاد الى افغانستان ليبدأ مشروعاً جهادياً كونياً، منذ ان عقد تحالفاً مع المهندس الجهادي المصري الدكتور أيمن الظواهري.. وهناك أعيد تشكيل خلايا الجهاد التي كأنما استحثها الاحساس بالخديعة من المحرّكين السابقين كيما يشرعوا في رحلة الانتقام الجديدة، فبعد أن كان أفراد تلك الخلايا يعملون تحت إمرة المسؤول الاميركي الذي يدير مشروع الجهاد الافغاني هاهم اليوم ينقلبون عليه وضده..

أفغنة العراق يمثل رهاناً كبيراً لدى دول المنطقة لتعديل الموقف الاميركي الانتقامي، وابطاء حركة الاصلاح

من هناك بدأت قصة الانفصام التي أعقبها سلسلة انفصامات متوالية طالت العلاقة بين الرياض وواشنطن، التي دفعت ليست ضريبة اخفاق عدم تأهيلها لمجاهديها، وليس لصدمة غارة نصير الأمس على الكويت فحسب، بل ولتحميل واشنطن إياها مسؤولية ما جرى عليها من هجمات انتحارية قارعة.

كان الحادي عشر من سبتمبر انفجار قصة الجهاد الافغاني، والتعبير المدوّي عن الاحساس بالخديعة لدى الافغان العرب العائدين بالخيبة من بلدانهم الى افغانستان ثانية للتعاقد مجدداً ولكن هذه المرة ليس على اعلان الجهاد ضد الروس ولكن على حلفاء الأمس، الذين ألهتهم المحنة الافغانية عن النظر الى تناقضات الموقف الاميركي في مناطق اخرى، وخصوصاً فلسطين التي لم تدخل هي ولبنان في الخطاب الجهادي لدى القاعدة سوى متأخراً وكأن قادة هذا التنظيم يعيدون تركيب خطابهم النضالي وتبرير فعلهم السبتمبري بأثر رجعي.

قد تبدو المنطقة الملتهبة مرشحة للهدوء في مرحلة قادمة، بعد تواصل الضربات القاصمة على مراكز القاعدة في افغانستان وخارجها، ولكن مازالت لأفغانستان وليس بالضرورة لذاتها ذيول اخرى في بلدان عديدة، إذ أن اولئك الذين دفعوا أرواحهم ثمناً لمشروع الجهاد قد نقلوا رسائل عديدة لمن يليهم بأن ثمة بناء لم يستكمل بعد، وفي الواقع أن هجمات سبتمبر تكاد تتحول الى شرط موضوعي من أجل كشف الاوراق جميعاً، فقد مرّت أحداث سابقة لم تعر أذن صاغية ولم تنل إهتماماً واسعاً وقد أبقت على جوانب هامة في قصة افغانستان مغفول عنها.

الآن وبعد أربع سنوات من الاحداث وعلى دورة رئاسية اميركية مليئة بالعمل الدؤوب المنذر بالمفاجئات والانتقامات، ليس هناك ما ينبيء عن عودة هادئة رغم ما صرّح به السفير الاميركي في القاهرة في السابع من نوفمبر بأن الرئيس بوش سيقيم علاقة (متوازنة) مع الشرق الأوسط.. في الواقع أن أفغنة العراق يمثل رهاناً خطير وكبيراً لدى دول المنطقة المستهدفة في مشروع الشرق الاوسط الكبير، وهو الرهان على تعديل الموقف الاميركي الانتقامي، وابطاء حركة التغيير.. إن تصريح القيادة العراقية بأن ايران وسوريا تعملان على تأجيج العنف في العراق يأتي كفائض من الصبر الذي كان المسؤولون العراقيون يلوذون به في الفترات الماضية، كيف وهم يلمسون باليد أدلة دامغة تثبت تورط هذين البلدين وغيرهما من دول الجوار في الشأن العراقي.. وستكشف الفترة القادمة عن حجم الاعداد التي تسللت من الحدود السعودية والسورية والاردنية الى داخل العراق والتي قدمت على وقع تعبئة دينية كثيفة كتلك التي خضع لها المجاهدون قبل رحيلهم الى افغانستان.

إعتقال المحامي الإصلاحي عبد الرحمن اللاحم

وصمة أخرى في خطاب الإصلاح الرسمي

تم إعتقال المحامي والناشط في قضايا حقوق الانسان والاصلاحي البارز عبدالرحمن اللاحم، وذلك في السابع من نوفمبر، بعد مداهمة منزله. واللاّحم هو أحد أعضاء هيئة الدفاع عن الرموز الاصلاحية الثلاثة من دعاة الملكية الدستورية وهم: د. متروك الفالح ، د. عبدالله الحامد ، الشاعر علي الدميني.

والجدير بالذكر أن عبد الرحمن اللاحم قد تعرّض خلال الثمانية أشهر الماضية الى الاعتقال مرتين، وتم التحقيق معه ووجهت اليه تهم زرع الفتنة ونشرها، والتشهير بمؤسسات الدولة وتهديد الوحدة الوطنية. وقد جرى اعتقال اللاحم عقب انتهاء الجلسة الثانية لمحاكمة الاصلاحيين الثلاثة حيث اعترض على سير المحاكمة لافتقارها الى الشروط القانونية، حيث اعلن ذلك بصوت مسموع الامر الذي أدى الى اعتقاله لولا تدخل الجمع المحتشد داخل مبنى المحكمة وعلى باب الضابط الذي اضطر الى الافراج عنه بعد ساعة من التحقيق.

لقد تم اعتقال اللاّحم لأنه حمل لواء الاصلاح وناضل من أجل تحرير الاصلاحيين الثلاثة الذين تحتجزهم أجهزة الامن السعودية دون وجه حق.. فهو يعبّر عن ارادة جماعية بالمطالب الاصلاحية الوطنية، ومنح الحقوق وتطبيق القانون بصورة صحيحة.. لقد تم اعتقال اللاحم لأنه أصبح أكثر من كونه محامياً فحسب، وإنما لكونه افاد من القانون وروحه كيما يزوّد حركة النضال الاصلاحي بوعي حقوقي، ويقارع المنتهكين لحرمة القانون من أجل ابلاغ رسالة الاصلاح وتحقيق المطالب المشروعة.

إن اعتقال اللاحم هذه المرة يعود الى كونه رفع دعوى ضد وزارة الداخلية لمنعه من السفر، وقد تم التحقيق معه مرتين قبل الاعتقال بفترة وجيزة من قبل هيئة التحقيق والادعاء العام. وإشتهر اللاحم بدفاعه عن القضايا الحقوقية ونشاطه في هذا المضمار الذي تصاعد عقب اقدام الاجهزة الامنية السعودية على اعتقال عدد من الرموز الاصلاحية والذين لا يزال ثلاثة منهم قابعين داخل سجن عليشه بالرياض ما لم يوقعوا على تعهد بوقف كامل للنشاط السياسي والاعلامي.

مهما يكن السبب، فإن اعتقال المحامي الاصلاحي عبد الرحمن يمثل وصمة في خطاب الاصلاح الرسمي، في ظل أحاديث رائجة عن قرب الانتخابات البلدية، التي يعتبر اعتقال الاصلاحيين دليلاً على عقم المشروع الاصلاحي.. فقد بات الاصلاح في وعي التيار الشعبي العريض مرتبطاً بتحرر ومشاركة رموز التيار الاصلاحي الوطني.

بيان

هذا وقد نشرت **اللجنه العربية لحقوق الإنسان** بياناً عن الاعتقال وفيما يلي نصه:

قامت المباحث العامة في المملكة العربية السعودية أمس السبت - السابع من نوفمبر - بمداهمة بيت المحامي والناشط في اللجنة العربية لحقوق الإنسان عبد الرحمن اللاحم ولم يكن في منزله، فطلبوا من ذويه الاتصال به ليسلم نفسه وهذا ما فعله مساء الأمس. وقد انتظرنا ٢٤ ساعة قبل إعلان الخبر لاستشراف ما إذا كان الأمر مجرد تحقيق عابر أم اعتقال. فاتضح لنا أن هيئة التحقيق والإدعاء العام قد طالبت بتوقيف المناضل الحقوقي بأمر نفذ بالتنسيق مع المباحث العامة.

كان المحامي اللاحم قد منع من الكتابة في الصحافة السعودية ثم منع من السفر ثم اعتقل في ١٧ مارس ٢٠٠٤ لمدة ثمانية أيام. وهو من أهم المحامين في قضية مناضلي اللجنة العربية لحقوق الإنسان ورواد الإصلاح المعتقلين الدكتور عبد الله الحامد والدكتور متروك الفالح والشاعر علي الدميني. كما يعكف على ملف ضحايا الاعتقال التعسفي في المملكة، والمحرومين من أية ضمانات قانونية.

إن اللجنة العربية لحقوق الإنسان تطالب بالإفراج عن الزميل المحامي عبد الرحمن اللاحم فورا، وإطلاق سراح رموز الإصلاح المعتقلين منذ ١٧ مارس (آذار) الماضي والتوقف عن اتباع القمع المنظم كوسيلة للتعامل مع المجتمع وأصواته وقواه الحية. وهي تناشد كل الهيئات والمنظمات الدولية التدخل العاجل لوضع حد لمأساة الاعتقال التعسفي في المملكة العربية السعودية (باريس في ٢٠٠٤/١١/٧).

اللاحم في سطور

المحامي عبد الرحمن محمد اللاحم من كوادر اللجنة العربية لحقوق الإنسان، ولد في الشماسية – منطقة القصيم في المملكة العربية السعودية في ١٣٩١/٧/١هـجري الموافق١٩٧١/٨/٢٣، درس البكالوريوس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم الشريعة الإسلامية ونال الدبلوم العالي في القانون من معهد الإدارة العامة، يعمل في المحاماة منذ خمس سنوات، وقد انتسب للجنة العربية لحقوق الإنسان في ٢٠٠٤، وهو متزوج وأب لطفلين.

مارس الكتابة المنتظمة في جريدة الوطن السعودية لمدة سنتين باهتمام واضح للقضايا الحقوقية إلى أن منع من الكتابة في كافة الصحف السعودية فكتب في الصحف والمواقع العربية عدة مقالات منها (حقوق الإنسان في السعودية ووهم الخصوصية)، (الحرب على الإرهاب في السعودية وحقوق الإنسان)، و(عندما يكون الإصلاح جرما)، كذلك أعد للجنة العربية عدة مداخلات حقوقية.

تم اقتحام مكتبه من قبل المباحث بعد نشر مقالته عن (وهم الخصوصية) في نهاية الشهر الثاني من عام ٢٠٠٤ وصودر جهاز الكمبيوتر الخاص به. تعرض للاعتقال بتاريخ ١٧/ مارس/ ٢٠٠٤ بعد تنديده باعتقال مجموعة من الإصلاحيين في السعودية على قناة "الجزيرة" وأفرج عنه بعد ثمانية أيام، منع من السفر بعد مداخلة له على إحدى الفضائيات وإثر ذلك قام برفع دعوى على وزارة الداخلية طالباً إلغاء قرار المنع من السفر ليتمكن من حضور طاولة مستديرة تنظمها اللجنة العربية لحقوق الإنسان في باريس حول غياب المحاسبة.

وهذه الدعوى تعتبر سابقة قضائية في السعودية من حيث قبولها من قبل المؤسسة القضائية وقبولها تقييدها كدعوى ونظرها، وهي وراء دخول المخبرات العامة منزله في السادس من نوفمبر وانتظاره فيه إلى أن يسلم نفسه. من أهم المحامين عن أعضاء اللجنة العربية لحقوق الإنسان ورواد الإصلاح الثلاثة المعتقلين في المملكة (الدكتور متروك الفالح، الدكتور عبد الله الحامد والشاعر علي الدميني) إضافة لقضايا سياسية هامة في المملكة وهو يعكف على متابعة ملف المتهمين بقضايا إرهابية الذين لا يخضعون في السعودية إلى أي ضمانة قانونية وتم تجريدهم من كافة حقوقهم المدنية ولا يطبق عليهم قانون الإجراءات الجزائية الذي ضمن للمتهم جملة من الحقوق الأساسية

تعرض للتحقيق والاستدعاء مرات عديدة أهمها في أكتوبر (تشرين الأول) حيث مثل أمام هيئة التحقيق يوم الثلاثاء (٢٠٠٤/١٠/٥م) وأكمل التحقيق يوم السبت (٢٠٠٤/١٠/٩م) وقد استدعي من قبل قاضي ملف الإصلاحيين في النصف الثاني من شهر رمضان الفائت.

بريطانيا: ملايين وطائرات وأطقم وهدايا للأمراء والسفارات السعودية!

فتح ملف رشاوى وعمولات اليمامة

نشرت مجلة (المشاهد السياسي) الصادرة في لندن مقالاً حول تفاعلات قصة الرشاوى والعمولات والخدمات الخاصة التي رافقت صفقة اليمامة استناداً الى تقرير (برنامج المال) الذي بثته قناة بي بي سي الثانية هذا الشهر، وكتب صاحب المقالة:

يعرف الحكم في السعودية أن أحد أهم أسباب تخلي الغرب عنه وتحديدا الولايات المتحدة يعود الى تورط النظام في تفريخ الإرهابيين الذين كانوا المحرك الأول والأكبر الممول والمخطط والمنفذ لأكبر اعتداءات في التاريخ تعرضت لها اميركا في واشنطن ونيويورك في الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١. ويدرك كبار القوم في آل سعود أن واشنطن على قناعة راسخة بأن بقاء آل سعود في الحكم يعني استمرار المواجهات مع الإرهابيين الذين يقودهم أسامة بن لادن السعودي المنشق زعيم تنظيم القاعدة.

كما يدرك كبار اهل الحل والقرار والسلطة في بيت آل سعود أن رائحة الفساد المالي والاداري والتلاعب بالمال العام فاحت وامتد عطرها غير الزكي الى نقاط واسعة من خلال ارقام وتواريخ تفصيلية لعقود تنص على عمولات غير مبررة وامتيازات لا وجه للحق فيها وعلى استئثار واسع على السلطة وعلى المال دون احترام لاي قانون او الخشية من اي رادع اخلاقي. لكنّ مراقبين سعوديين يرون ان آل سعود وبدلا من اصلاح اوضاعهم والتجاوب مع مطالب شعبهم بالاصلاح ووقف النزف المالي والغاء الامتيازات والعمولات، زادوا من حجم انتفاعهم من عائدات النفط وانهم غيروا فقط خارطة التحالفات المالية التي تبقي ابواب الفساد وضياع الذمم مشرعة امام المزيد من الصفقات الوهمية او المختلقة فقط للحصول على المزيد من العمولات والفواتير التي لا تحدد ارقاما واثمانا حقيقية كالصفقة التي يجري الاعداد لها الان مع باكستان لشراء اسلحة ومعدات عسكرية بمئات الملايين من الدولارات او ربما بعدة مليارات!

والجديد في تفاصيل الفساد اعلن عنه قبل اسابيع عندما كشف (برنامج المال) الشهير المعني بالشؤون المالية والاقتصادية الذي بثته قناة بي بي سي الثانية بعد إجراء مقابلات مع ثلاثة مصادر مطلعة عن قيام شركة الأنظمة الإلكترونية والجوية البريطانية لتصنيع الأسلحة بدفع رشاوى تقدر بنحو ٦٠ مليون إسترليني لتسهيل الحصول على أكبر صفقة أسلحة في تاريخ بريطانيا. وكان الأمير تركي بن ناصر أحد أفراد العائلة المالكة السعودية المستفيد الأكبر من تلك الملايين. وكان تركي مسؤولا على مدار عشرين عاما عن الإشراف على أعمال الجانب السعودي لإتمام (صفقة اليمامة) التي عادت على شركة أنظمة الطيران البريطانية المعروفة اختصارا باسم (بي إيه إي) بمليارات الدولارات. وفي المقابل، رفضت الشركة التي كانت معروفة فيما مضى باسم الشركة الجوية البريطانية (بريتيش إيروسبيس) الاعتراف بدفع مثل هذه الرشاوى في برنامج (رشاوى باسم بريطانيا)، إلا أن بيتر غاردينر الذي أغدق الأموال على الأمير تركي لأكثر من عقد من الزمن خرج عن صمته وتحدث لأول مرة عما كان يرتكبه من أعمال. وبدأ غاردينر العمل مع (بي إيه أي) لأول مرة في عام ١٩٨٨، لتصبح شركة السياحة الصغيرة التي كان يمتلكها قناة كبيرة لمرور أموال الشركة البريطانية حيث كان يضخ عن طريقها نحو سبعة ملايين إسترليني سنوياً. وكانت مهمة غاردينر تتلخص في إغداق الأموال ومظاهر البذخ على الأمير تركي. وأطلع غاردينر بناء على تعليمات شركة الأسلحة البريطانية الأمير تركي على ما يمكن أن يوفره له ولحاشيته من فنادق لا نهاية لها وطائرات خاصة وسيارات فاخرة وحراسات خاصة وإجازات مثيرة. كما استفادت عائلة تركي من الأموال التي أغدقتها شركة الأنظمة الإلكترونية والجوية البريطانية عليه. فيقول غاردينر أن زوجة تركي حصلت على سيارة رولز رويس يقدر ثمنها بنحو ١٧٠ ألف إسترليني كهدية في عيد ميلادها. كما وضع تحت تصرف زوجة تركي وحاشيتها طائرة شحن من طراز (بوينغ ٧٤٧) لنقل مشترياتهم. كما حظي نجل تركي وأصدقاؤه برحلة تزلج في كولورادو تقدر تكلفتها بنحو ٩٩ ألف إسترليني، كما صور حفل زفاف ابنة تركي بتكلفة قاربت المائتي ألف إسترليني. كل هذه الأشياء دفعت تكاليفها شركة الأسلحة البريطانية. كما نظّم غاردينر برنامج العطلة الصيفية لتركي وعائلته في عام ٢٠٠١ التي استغرقت ثلاثة أشهر. وكلفت هذه الإجازة شركة (بي إيه أي) نحو مليوني إسترليني. وقال غاردينر في تصريح لبرنامج المال: (إن أسلوب الحياة هذا فاق أسلوب حياة النجوم السينمائيين. لقد كان نجوم السينما يرتادون الفنادق التي كنا نزورها لكنهم لا يعيشون في هذا المستوى من الرغد). وتلقى غاردينر في بعض الأحيان تعليمات بتوفير الأموال لتركي وعائلته سواء في صورة أموال سائلة أو تحويلات مصرفية لسداد



وزير الدفاع: سلطان الحرامية

فواتير البطاقات الائتمانية. وقال غاردينر أنه قام بتحويلات مصرفية قيمتها مائة ألف دولار. وأضاف:(لم نكن نسأل عن هذه الأمور. كان يطلب منا دفع الأموال المطلوبة ومن ثم كنا ندفعها). وكان كل ما يطلبه تركي سواء كان شيئا كبيرا أو صغيرا كان يحصل عليه بعد أن تدفع (بي إيه إي) الثمن. وظهر أيضا على شاشة التلفزيون مصدر مطلع آخر يدعى إدوارد كانينجهام الذي أفصح للمرة الأولى عن أنه تلقى تعليمات بتلبية متطلبات المسؤولين السعوديين الأقل مرتبة من أجل تسهيل أعمال الشركة البريطانية.

ووجد كانينجهام نفسه في موقف الوسيط الذي يساعد أولئك المسؤولين على التمتع بحياة الليل في لندن ويدفع عنهم فواتير المقامرة ويرتب لقاءات لطيارين سعوديين كانوا يزورون لندن في إطار صفقة اليمامة مع بائعات هوى. وقال كانينجهام في تصريحاته للبرنامج: (كنت أحضر بعضهن (بائعات الهوى) من المنطقة التي أقطن فيها الأمر الذي كان يسبب لي حرجا شديدا خاصة وأنني رئيس مجلس محلي عمالي). وأوضح كانينجهام أنه كان يقدم لمسؤولين

المال العام

بالسفارة السعودية أطقم مائدة فضية وذهبية قيمة القطعة الواحدة منها تبلغ نحو ألف إسترليني. وقال كانينجهام: (كنت منهمكا (بتلبية طلبات) كل من بالسفارة. كانوا جميعا يريدون أطقما ذهبية وكانوا يعزفون عن تلقي الأطقم الفضية).

إخفاق

كما شرح البرنامج كيف أخفت الشركة البريطانية الجهة التي ستذهب إليها أموال الرشاوى بمساعدة توني وينشيب القائد السابق بالقوات الجوية وصديق الأمير السعودي. وكان وينشيب يستبدل شهريا السجل التفصيلي الذي يوضح كيف أنفقت أموال الرشاوى بفاتورة واحدة تقع في صفحة واحدة.

في آب (اغسطس) عام ١٩٩٥ على سبيل المثال كان مدونا بالفاتورة ما يلي: (مصاريف خدمات الإعاشة والدعم للزائرين من خارج البلاد). وكان إجمالي التكلفة في الفاتورة قرابة المليون استرليني دون تقديم المزيد من التفاصيل عما أنفقت فيه هذه الأموال. وقال غاردينر أن وينشيب كان يقوم بذلك لأنه (أراد الاحتفاظ بخصوصية وسرية المسألة، كما أنه أراد إبعاد الأعين الثاقبة التي تلتفت إلى مثل هذه الأنواع من التعاملات المالية).

وكشف برنامج المال عن أن ستيف موجفورد الذي كان آنذاك أحد المديرين التنفيذيين الصغار بشركة (بي إيه أي) هو الذي وافق على فواتير الرشاوى هذه. ويحتل موجفورد في الوقت الراهن منصب مدير الشركة ومدير العمليات فيها. وأفاد البرنامج بأن موجفورد وقع في الشهور الأربعة الأخيرة من عام ١٩٩٥ على فواتير رشاوى تقدر بنحو ثلاثة ملايين إسترليني. كما أن موجفورد هو الذي التقى في عام ١٩٩٦ بمارتين بروملي، أحد المحققين بالشركة، ليأمره بوقف تحقيق كان يقوم به لمعرفة حقيقة تلك الرشاوى. وقال بروملي في حديث أدلى به لبرنامج المال: (لم أكن أشعر بالارتياح للأمر لأنني شعرت أنهم سيقومون على الأرجح بالتستر على الأمر. يجب أن أقول أنني خرجت من الاجتماع وأنا أشعر بالصدمة).

صدمة

وفي المقابل، رفض موجفورد حضور البرنامج، كما امتنعت شركة الأنظمة الإلكترونية والجوية البريطانية عن حضوره. كما رفض كل من وينشيب والأمير تركي الإجابة على تساؤلات البرنامج. وقالت السفارة السعودية في بيان موجه لبرنامج المال أنها تشعر بالصدمة إزاء سماع تلك المزاعم بشأن الممارسات الفاسدة. وأضافت: (لا تتغاضى الحكومة السعودية أو سفارتها عن أي سلوك مخادع من أي نوع). وكان البرلمان البريطاني قد وافق في شباط (فبراير) عام ٢٠٠٢ على تشديد قانون معاقبة الرشوة والفساد، كما جرم دفع رشاوى لمسؤولي الحكومات الأجنبية. وسيكون من الصعب على شركة الأسلحة البريطانية تجنب الإجابة عن السؤال الذي يطرح نفسه حاليا وهو هل قدموا رشاوى باسم بريطانيا خاصة وأن الحكومة بدأت تحقيقا في الأمر بمساعدة السجلات التي يحتفظ بها بيتر غاردينر. وردا على ما ورد في البرنامج أرسلت الشركة البريطانية لبي بي سي بيانا تقول فيه: (تشعر بي إيه إي بالأسى وتعرب في الوقت ذاته عن دهشتها لقيام برنامج المال الذي تبثه بي بي سي وبعض وسائل الإعلام الأخرى بترديد مزاعم عمرها تسع سنوات وغير صحيحة). وأضافت الشركة في بيانها: (إن الحقيقة هي أن (عقد اليمامة) الذي يعد محورا لتلك المزاعم هو عقد بين الحكومتين السعودية والبريطانية. وتستطيع بي إيه إي أن تعلن أنه لا يوجد ما وصفته وسائل الإعلام بالرشاوى. كما أن الشركة أو أي من العاملين فيها لم يزوروا حسابات الشركة). ومضت الشركة قائلة: (تعمل شركة بي إيه إي في إطار قوانين المملكة المتحدة والدول الأخرى التي تمارس أعمالها فيها).

اليمامة

وقبل اقل من عامين من الان وفي الثاني والعشرين من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٢ نفت شركة صناعة الطائرات البريطانية (بي ايه أي سيستمز) تقارير صحفية حول عقد مباحثات مع المملكة العربية السعودية لبيع ٥٠ طائرة نفاثة من طراز (تايفون يوروفايتر) للمملكة. وقالت صحيفة

مهمة غاردينر من شركة بي إي ايه تتلخص في إغداق الأموال ومظاهر البذخ على الأمير تركي بن ناصر

الأوبزرفر الأسبوعية البريطانية أن الشركة كانت في مباحثات مع السعودية حول بيع ٥٠ طائرة نفاثة في صفقة تصل قيمتها إلى مليار ونصف المليار دولار على الأقل. وأضافت الصحيفة أن السعودية قد تسدد المبلغ جزئيا بالنفط، على غرار صفقة اليمامة في الثمانينيات حين دفعت نفطا مقابل صفقة السلاح. ولكن الناطق باسم شركة (بي ايه إي سيستمز) قال لبي بي سي أونلاين أنه على الرغم من وجود عدد كبير من الزبائن للطائرة، فإن الشركة لا تجري في الوقت الراهن مباحثات مع السعودية. وكانت (بي ايه إي سيستمز) قد أثارت صدمة كبيرة بين المستثمرين في بداية الشهر عندما أعلنت عن هبوط في أرباحها نصف السنوية بلغ ٢٥ بالمائة. وعزت الشركة الهبوط في الأرباح إلى التأخير الذي وقع في عملية الإنتاج والخسارة التي لحقت بصناعة تشييد البواخر. وقالت أن خططها في استعادة النمو في الأرباح عام ٢٠٠٣ تعتمد على عملية مراجعة النفقات التي ستقوم بها وزارة الدفاع البريطانية. وقالت الأوبزرفر أن الوضع المالي للشركة سيتحسن حين تبدأ بريطانيا في تلقي طلبات لتسليم ٢٣٢ طائرة من طراز تايفون في نهاية العام الحالي.

أسلحة

قالت مصادر عسكرية باكستانية أن وفدا سعوديا يترأسه الأمير خالد بن سلطان مساعد وزير الدفاع والطيران السعودي للشؤون العسكرية تسلم الدفعة الأولى من طائرات باكستانية من طراز سوبر مشاك إضافة إلى دبابة قتالية متطورة أطلق عليها اسم الخالد لتجربتها في الصيف المقبل.

واوضحت المصادر انه جرت محادثات بين قائد القوات الجوية السعودية الفريق عبد الرحمن الفيصل ورئيس هيئة الأركان الباكستاني استهدفت تعزيز التعاون العسكري بين البلدين كما اتفق الجانبان على إجراء تدريبات عسكرية مشتركة.

وكشفت مصادر مطلعة أن مسؤولين سعوديين اجروا اختبارات على دبابة الخالد في الشتاء الماضي وطلبوا إجراء مزيد من الاختبارات في السعودية الصيف المقبل لبحث مدى ملاءمتها للبيئة الصحراوية السعودية. ونقل عن مسؤول في سلاح الطيران السعودي أن هيئة الطيران الباكستانية سوف تسلم الدفعة الأولى من مجموع عشرين طائرة إلى سلاح الطيران السعودي. وكانت الدولتان قد وقعتا اتفاقية بشأن هذه الطائرات في صيف عام ٢٠٠٢.

وقد يبدو الامر على انه محاولة سعودية لتشجيع الصناعات العسكرية الاسلامية ودعم الاقتصاد الباكستاني لكن الحقيقة غير ذلك فهي في نظر سعوديين ومحللين سياسيين غربيين ليست اكثر من تغيير اسواق فبعدما اغلقت الاسواق الاميركية والبريطانية في وجه الفساد المالي السعودي الذي كان اول من سعى إلى رشوة كل من تعامل منهم او اشترى اسلحة وطائرات وعتاد او ابرم معهم صفقات كبرى اخرى، سعى رموز الفساد في اسرة الحكم السعودي إلى البحث عن اسواق اخرى لا تحرم ولا تمنع التعامل بالعمولات وقد يسهل التعامل معها لتبقى الاسرار اسرارا الى الابد. وتبعا لذلك قام الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز بزيارة رسمية الى باكستان على رأس وفد يضم نحو خمسين شخصا هي الأولى منذ توليه منصبه قبل نحو ست سنوات تلبية لدعوة من رئيس هيئة الأركان الباكستاني.

وتولى الأمير خالد قيادة القوات العربية أثناء حرب تحرير الكويت قبل أن يعفيه العاهل السعودي من منصبه كقائد لقوات الدفاع الجوي. وأكد مساعد وزير الدفاع السعودي في إسلام آباد على الحاجة لعقد ندوات من قبل القوات المسلحة لكلا البلدين من اجل الفائدة المشتركة.

وأكدت مصادر باكستانية أن إسلام آباد عرضت على الرياض إقامة مشروعات مشتركة لإنتاج الأسلحة والذخائر والعربات القتالية المدرعة وصواريخ انزا ودبابات الخالد. وقالت أن محادثات بين الجانبين سوف تعقد مطلع العام المقبل لاستكمال البحث في سبل تعزيز تعاون البلدين على الصعيد العسكري.

وتزامنت زيارة الوفد السعودي مع نجاح باكستان في إطلاق صاروخ باليستي متوسط المدى من طراز غوري والذي يمكن أن يحمل رؤوسا نووية وتقليدية لمسافة ١٥٠٠ كيلومتر. وأفاد إعلان حكومي صدر بعد التجربة أن الصاروخ أصاب هدفه بنجاح بعد أن استوفى جميع المقاييس الفنية. وتم تطوير الصاروخ غوري في معامل كاهوت للبحوث وأجريت أول تجربة لإطلاقه في عام ١٩٩٨.

رشوة

غير أن سجل الفساد والرشاوى تعدى هذه القضية وعشرات القضايا الاخرى ففي الخامس من تشرين الأول (اكتوبر) الحالي حُكم على شرطي بريطاني بالسجن لمدة عامين ونصف العام بعد أن ثبتت عليه تهمة تسريب معلومات لضابط مخابرات سعودي لقاء مقابل مالي. وتلقى الشرطي البريطاني غازي قاسم، البالغ من العمر ٥٣ عاما، مبالغ مالية حتى يزود السلطات السعودية بمعلومات سرية حول (مارقين). واعترف قاسم بثلاث من التهم الموجهة إليه وقال أنه استغل موقعه الحكومي من أجل التكسب حيث باع معلومات عن أشخاص ينتمون إلى أصول شرق أوسطية. وكان غازي يقوم بتحريات حول رجل الدين المتطرف المعروف بـ (أبي حمزة المصري). وأمد قاسم (سكرتيرا ثالثا) بالسفارة السعودية بلندن بتلك المعلومات. وترك السكرتير الثالث علي الشمراني الأراضي البريطانية قبيل القبض على غازي قاسم في شهر تموز (يوليو) الماضي بوقت قصير. وطرد غازي قاسم من الخدمة بعد إدانته. وكان قاسم قد أمضى بالشرطة ١٥ عاما وهو متزوج ولديه ثلاثة أبناء. ودلت التحريات على أن حسابه بالمصرف قد زاد بمبلغ ١٤ ألف جنيه استرليني.

أرشيفات

وقال الادعاء (قام قاسم بتحريات وبحوث حول أفراد معينين مستخدما الكمبيوتر الخاص بالشرطة البريطانية وأرشيفات الحكومة السرية). وأضاف ممثل الادعاء روجر سمارت (وتلقى قاسم أوامر من الشمراني بالذهاب إلى أناس في بيوتهم وسؤالهم عن أشياء معينة بغرض عمل تحريات). وقال (وتلقى مقابلاً مادياً لا بأس به لقاء تلك الخدمات). واستخدم قاسم أرشيفات الشرطة لمعرفة رقم التسجيل الخاص بسيارة المنشق السعودي محمد المسعري. كما استخدم الأرشيفات في الحصول على وثائق بوليسية تتعلق بأبي



لمن الأسلحة وضد من، وأين هو الجيش؟!

حمزة المصري. وانتحل شخصية موظف بلدية للاحتيال على أسرة رئيس وزراء سوداني سابق تعيش بلندن من أجل الحصول على أرقام

ملف الفساد والرشاوى في صفقات السلاح أكبر من أن يختزل في مشروع اليمامة وغيره، بل هو مستمر منذ عقود طويلة

تليفونات. وبرر الدفاع العلاقة بين الشمراني وقاسم بأن ابنيهما يذهبان إلى المدرسة ذاتها وقال أن موكله لم يعرف أن الرجل كان ضابطا بالمخابرات وظنه دبلوماسيا حقيقيا وأن تلك المعلومات كانت تتعلق بأناس قدموا طلبات للسفارة السعودية من أجل الحصول على مساعدات مالية. وقال القاضي بعد الحكم موجها كلامه لقاسم (لقد وضعك طمعك في موقف يعرض الآخرين للخطر).

من جهة ثانية نشرت وكالة رويترز نبأ عن تحقيق الشرطة البريطانية في صفقات سلاح مع السعودية. وذكرت الوكالة بأن الحكومة البريطانية قررت فتح تحقيق فيما يعتقد أنه تلاعب بالحسابات في صفقات وقعها عملاق السلاح البريطاني (بي أي إي سيستمز) وشركتان أخريان هما (روبرت لي إنترناشيونال) و(ترافلرز وورلد) مع الحكومة السعودية.

وأعلن مكتب مكافحة جرائم الاحتيال (SFO) أنه أجرى تحريات بالتعاون مع الشرطة ووزارة الدفاع البريطانيين في ثمانية مواقع لم يكشف عنها في لندن وجنوب إنجلترا وأن رجلين لم يكشف عن هويتهما قد تم توقيفهما للاستجواب.

وسيمكن فتح التحقيق بصفة رسمية الشرطة البريطانية من الوصول إلى عدد معين من الوثائق، فيما قال بيان لشركة (بي أي إي سيستمز) إنها ستقدم الدليل على أن الادعاءات لا أساس لها من الصحة واعتبرت نفسها ضحية احتيال.

وقد دأبت الصحافة البريطانية السنة الماضية على اتهام الشركة بتقديم رشاوى إلى مسؤولين سعوديين لإقناع حكومة العربية السعودية أكبر أسواقها بعقد صفقات سلاح، وهو ما تنفيه الشركة مؤكدة أنها تحترم القانون البريطاني في نشاطاتها.

وقد ألقت الشرطة البريطانية الشهر الماضي القبض على موظف بوزارة الدفاع للتحقيق في اتهامات مماثلة.

وكانت شركة (بي أي إي) وهي كبرى شركات السلاح في أوروبا عقدت في الثمانينيات صفقة ضخمة مع الحكومة السعودية أطلق عليها اسم (اليمامة) زودت الرياض بموجبها بكمية كبيرة من العتاد العسكري بما فيها طائرات مقاتلة وهي الآن تقوم بصيانة العتاد وتدريب القوات السعودية عليه.

في تهنئته بشهر رمضان هذا العام

اليماني: تفاؤلي بالإصلاح السياسي لم يكن في محلّه

اعتاد الشيخ أحمد زكي يماني أن يرفق بطاقة تهنئته بشهر رمضان، بمقالة يكتبها عن حدث أو قضية تشغل بال المسلمين والمواطنين بوجه أخص، وقد تحدّث عن عديد من هذه القضايا في فلسطين والعراق وأفغانستان وما يحدث فيها من جرائم تغطيها الولايات المتحدة الأميركية، فيما الأنظمة العربية قد ضعفت همتها وارتعدت فرائصها وأغمضت عيونها وسدت آذانها ولم يكن لديها سوى ترديد اسطوانة الشجب والتنديد.

في رمضان هذا العام، تحدث الشيخ اليماني عن مواضيعه السابقة والتي شملت مختلف المواضيع ومن بينها (الآثار الإسلامية) في الحجاز، والتدمير الممنهج الذي تقوم به القوى المتطرفة بدعم السلطة، والتي كان آخرها تدمير عدد من المساجد التاريخية في مدينة الرسول. قال الشيخ أنه كان قبل بضعة أيام من قدوم شهر رمضان المبارك في مدينة قرطبة وقد (زرت مسجدها الذي بني في بداية العهد العباسي، وقد حوّل الأسبان جزءاً منه الى كنيسة وأبقوا الجزء الباقي بمحرابه الجميل يشهد على حضارة يكاد يطويها النسيان).. وأضاف: (سرحتُ بذاكرتي في أروقة التاريخ الأندلسي البعيد ورأيت ملوك الطوائف يختلفون ويتناحرون ثم عدت الى حاضرنا فوجدت دول الطوائف تفعل ما كانوا يفعلون وكأن التاريخ يعيد نفسه) ملمحاً الى ما يجري في مهد الإسلام (الحجاز).

وتابع منددا بالتيار الوهابي المتطرف ومن يدعمه: (مما يزيد في مأساتنا هذا التطرف والتزمّت الذي يرفع أصحابه راية الدين، وذلك الإنفلات من ربقة الدين، شعوبنا نائمة أو منومة، ومعظم الحكام ترتعد فرائصهم والنيران تحيط بهم واليأس او الخوف يحبط عزائمهم، وإذا أراد بعض المسلمين التعبير عن مرارتهم كان تعبيرهم إرهاباً يفتك بأهلهم ومواطنيهم ولا يمتد لأعدائهم). وضرب مثالاً على ذلك التطرف، ففي رد أحدهم على تهنئة سابقة للشيخ اليماني حملت عنوان (المرأة في رحاب رمضان) كتب تحت عنوان (لا يا معالي الوزير بل المرأة في رحاب الحجاب) وزع منه آلاف النسخ، مما دفع القراء البحث عن التهنئة، والرد على الرد، فجمع كل هذا وظهرت المقالات بعدها في كتاب (الإسلاميون والمرأة). وتساءل الشيخ عن الرد المنتظر على كتابه الجديد (الإسلام والمرأة).

وأشار الى رد فعل سابق أيضاً على تهنئة سابقة بعنوان (واحة رمضان) وكانت عن أولئك الذين تمتد أيديهم الى أراض الغير المملوكة يغتصبونها ويبنون عليها او يبيعونها ولا يبقى لمالك الأرض غير صك الملكية يحتفظ به، وأوضح أنه واحد من الذين اغتصبت أرضهم وأنه (لم يحن الوقت حتى أبوح بالشكوى، وكل آت قريب)!

اما الآثار الإسلامية التي تجسد تاريخنا المجيد في فترة النبوة والرسالة الخالدة وعهد الصحابة والتابعين، فقد (امتدت اليها المعاول تهدمها وتزيلها من الوجود. وقال قائل بعد ذلك ان حركة الهدم والتخريب سوف تتوقف، ولكننا فوجئنا مؤخراً بهدم بعض المساجد السبعة في المدينة المنورة، وان النية معقودة على هدم ما تبقى منها، وهي مساجد تروي لنا أماكن تواجد بعض كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق وبناها الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه). واضاف: (هذه والله مأساة تمس المسلمين في تراثهم ولا مبرر لها، وأسأل الله ان تزول مهما توهم البعض فاحتجوا بمنع الشرك والبدع، فمنعهما يكون بأساليب غير

> **حركة هدم وتخريب الآثار الإسلامية لم تنته وهي وصمة في جبين القائمين عليها**

الهدم الذي سيبقى وصمة في سجلات التاريخ).

وفي موضوع الإصلاح السياسي في المملكة والذي تطرق اليه الشيخ اليماني في تهنئته العام الماضي، قال بأنه كتب تهنئته تلك فكان فيها (شيء من التفاؤل) واشار الى ان ذلك التفاؤل لم يكن في محله كما تبين فيما بعد: (ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لما فعلت، فقد تغيرت الظروف وظهرت الحقائق، ولكن تفاؤلي لم ينتهي، فالأمور مرهونة بأوقاتها، ويفزعني أن يتأخر وقتها فيأتي (الإصلاح) تحت ضغط الظروف التي يبصرها أهل البصيرة ولا يبصرها غيرهم) ودعا اليماني الله (ان يحمينا من الزوابع والقلاقل والإنقسام وألا تحجب ثروة غير متوقعة وغير دائمة حقائق لا مفر منها، فهي ثروة مهما طال وقتها فلن يطول ثم تقشع وسوف تزول الأسباب السياسية التي أوجدتها).. ملمحاً الى أن ارتفاع اسعار النفط، لن يغني في المحصلة النهائية عن البدء بالإصلاحات السياسية.

وانتقد الشيخ اليماني الخلاف بين الفقهاء حول رؤية الهلال والتي تحدث عادة بداية ونهاية شهر رمضان (فكم صمنا يوماً من شعبان ظنّاً بأنه من رمضان وأفطرنا آخر يوم من رمضان لأن هناك من منحه الله بصراً قوياً مكنه من رؤية الهلال قبل ولادته!!). وأعطى تفسيرات للأحاديث المتعلقة برؤية الهلال، وعاب على الفقهاء عدم أخذهم بالعلم في معرفة ولادة الهلال ورؤيته وهو حساب لا يخطئ كما يخطئ البشر. وطالب العلماء بالإطلاع على حقيقة علوم الفضاء والتأكد من أنه علم يمثل قرينة قاطعة على ولادة الهلال وقطعية وجوده في الأفق بعد غروب الشمس. وفي هذا المجال شرح الشيخ اليماني كيف يكون الحساب العلمي والإختلاف بين مدينة أو دولة وأخرى.

بقي القول أن بطاقات تهنئة الشيخ اليماني تحوي في الغالب نقداً صريحاً ومبطّناً لبعض سياسات الحكومة السعودية وحليفها الديني الوهابي المتطرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

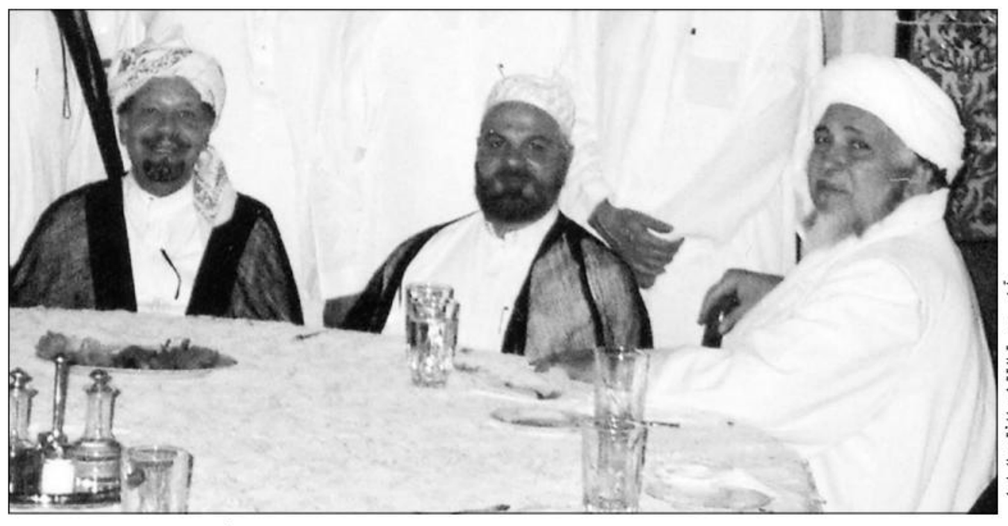
وأشكره أن أحيانا عاماً آخر لنشهد رمضان شهر الرحمة والرضوان، وأسأله أن يعيدنا لموسم البركات مرات تلو مرات، عسى أن تصفوا النفوس وتقوى العزائم وتزول الشدائد.

وقبل أن أبدأ البحث عن فكرة تنبثق من رمضان تكون موضوع تهنئتي قررت أن ألقي نظرة على كتاباتي السابقة كي اقارن الماضي بالحاضر، وأردت أن اشرككم معي في تلك المقارنة.

لقد تطرقت أكثر من مرة في كتاباتي السابقة إلى أحوال المسلمين، بدأت بالأرض السليبة فلسطين، فرأيت أحوالنا الآن متشابهة بالماضي السيئ تدعو العجب وتدعو لليأس والتصيب بالإحباط، فغطرسة اسرائيل قد تجاوزت كل الحدود وهي تمارس جرائم الانسانية بغطاء سياسي وعون مالي وعسكري من أكبر قوة في العالم، وبقية القوى الكبرى غير مكترثة وكأن لسان

عزاؤنا فيك يا فقيد العلم يا عالم مكة

الشيخ أحمد زكي يماني



آخر صورة التقطت للفقيد الراحل

ما أظن أن سكان أم القرى وما جاورها قد أصابهم فزع وذعر كما أصابهم نبأ فقدان عالم مكة ورمزها وسيد أهلها، السيد الجليل، والعالم الكبير، السيد محمد بن علوي مالكي الحسني، الذي رحل عنا ونحن في أشد الحاجة لوجوده بيننا.

لقد عرفته قبل أن أراه عندما حدثني والدي رحمه الله عنه وعن نبوغه في علم أصول الفقه عندما كان يدرس على يديه، حتى قال والدي لوالده السيد علوي ليدخل السرور عليه (هذا فرع فاق أصله) وكان هذا الفرع الشريف عندما حدثني والدي عنه ينهل العلم من منبعه الآخر في الأزهر الشريف.

عاد لوطنه وقد تأكد من جوهر حقيقة الإسلام في تنوع مذاهبه وتعدد اتجاهاته واحترام آراء الآخرين، وحمل تلك المعرفة من المسجد الحرام الذي كانت تعج حلقات العلماء فيه على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم. كما عرفها في أروقة الأزهر الشريف حيث تتسع الصدور لآراء من يخالفهم الرأي، فالله جل وعلا غرس في طبيعتنا حرية الرأي وحرية الإختلاف ولذلك خلقنا.

كان رحمه الله واسع العلم، كريم النفس، صريح الرأي، لا تأخذه في الحق لومة لائم، يثور عندما يتوهم المتوهمون أنهم يستطيعون الحجة عليه أو كبح جماح علمه، ولقد رأيته في حوادث متعددة وهو يقف شامخ الرأس رافع الصوت، يزلزل أقدام المنافقين، ويسكت ألسنة المتزلفين، لا تشتريه الأموال، فالعلم لا يُشترى بالمال، وإن كان بعض المنتسبين إليه يشترون بتلك الأموال. ألف العديد من الكتب وألقى الكثير من المحاضرات في عواصم عالم الإسلام، من المغرب حتى إندونيسيا، ولكن كان علمه الغزير حبيس داره في وطنه يقصده المئات من طلابه ينهلون العلم منه رغم الحواجز والموانع.

تكاثف الهجوم عليه بمؤلفات عديدة، وبيانات هزيلة وهو ساكت لا يبالي، ولما قال له يوماً أحد جلاسه بيتاً من الشعر يتضمن كلاماً لا يليق، انبرى له رحمه الله قائلاً: لا أسمح بأن تصفهم بذلك، فلهم رأيهم ولي رأيي، ما نرفضه هو أن نلزم الجميع بالتزام رأي واحد، والإسلام رحب قد اتسع صدره لتعدد الآراء تحت راية لا إله إلا الله.

قبل وفاته المفاجئة بليال ثلاث كان ضيفي على السحور، ودعوت على شرفه بعض محبيه وعارفي فضله، وقد أمتعنا بالعديد من الأخبار والآراء، وكنا نجلس بين يديه ونقول ليته يستمر ولا يسكت، ولقد وعدني رحمه الله أن يرتب لي موعداً مع أحد علماء الشافعية في البلد الحرام بعد عودته من المدينة ولكنه ذهب لجوار ربه ولن يعود للوفاء بوعده.

لقد فجعنا نحن أهالي مكة في أقل من شهر بمصيبتين، عندما رحل عنا شاعرنا شاعر العروبة السيد محمد حسن فقي، الذي وهبه الله الحكمة ونبوغ الفكر والملكة الفريدة في الشعر، فنأى بما أعطاه الله عن التزلف والإنحناء، وعندما سطعت أضواء شعره خارج الحدود عرف الناس ماذا أصابه من جحود.

وتأتينا الآن مصيبتنا الثانية في عالمنا وفقيهنا الذي رحل عنا وترك فراغاً لا يعزينا في فراقه إلا إيمان بأن رسالته ورسالة الإسلام الخالدة لن ينتقص منها التزمت والتنطع، ولن ينتهي ضوؤها الساطع باختفاء نبراس واحد.

توارى جثمانه الطاهر بمقبرة المعلا الى جانب أبيه العلامة السيد علوي، وحرمت وأنا على سرير المرض أن أودعه لمثواه، وخفف من ألم حرماني التهليل والتكبير في المسجد الحرام الذي عرفت جموع المصلين أن أمراً جللاً قد حصل، والجموع الغفيرة التي امتلأت بهم مقبرة المعلا في حشد دلّ على عمق محبة الناس له.

رحمك الله أيها الحبيب يا حفيد المصطفى عليه وعلى آل بيته السلام.

موضوع الغلاف

القبّة الخضراء فضيّة وبلا هلال!



التطرّف الوهابي لا حدود له.
إنه مرضٌ حقيقي مختزن في صاحبه، قد يوجهه الى الآخر المختلف في الوجهة الدينية او المناطقية، لكنه لا يلغي حقيقة أن المريض بالتطرّف لا يخرب بيت الآخر بل ينتهي بتخريب بيته. لقد بدأ التطرف في المملكة ضد المواطنين الآخرين غير الوهابيين، فساموهم العسف والظلم وهدر الحقوق والكرامة، وكانت الحكومة تؤيد ذلك وتشرعن الفعل الطائفي المتطرف، وتنفخ فيه في إعلامها ومؤسساتها التعليمية وغيرها، في حين كانت المؤسسة الدينية الرسمية مشغولة هي الأخرى بإصدار فتاوى التكفير والتفسيق وزيادة الجرعات المفتتة للنسيج الإجتماعي.. حتى إذا ما ساد الصوت الواحد والرأي الواحد، التفت التطرف الى البيت الداخلي الوهابي، فتفاجأ البعض بتكفير الحكومة، وتكفير رموز من المؤسسة الدينية الرسمية، بل أن الشيخ المفتي عبد العزيز بن باز، ومن جاء بعده الشيخ عبد العزيز آل الشيخ لم يسلما من الإتهام حيث ارتدّ التطرف الذي صنعاه عليهما وعلى المؤسسة السياسية.

والتطرف الوهابي أشبه ما يكون بالإدمان، بل يمكن القول أن المتطرف يزداد إدماناً وهو بحاجة الى المزيد من جرعات التطرف على الدوام. وبالرغم مما بدا أن الحكومة ـ بعد تمدد غائلة الوهابية واتضاح خطرها على الدولة والمجتمع ـ ستقوم بتخفيض حدّة التطرّف، إلا أن الشهور الستة الماضية أثبتت أن الحكومة غير راغبة (البعض يقول أنها ربما غير قادرة) في مواجهة التطرف والحدّ منه، فسمحت له بالتمدد وممارسة التدمير في مجالات تبدو بعيدة عن السياسة، يمكن السماح لمتطرفي الوهابية فيها بالعبث، وخاصة في تعزيز قوة وشراسة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك فسح المجال للوهابيين بتدمير ما تبقى من الآثار الإسلامية، كما جرى ويجري بالنسبة للمساجد السبعة في مدينة الرسول.

ومن وجهة نظرنا، فإن إطلاق يد التطرف في المناطق غير الوهابية كما في الحجاز، وإن بدا وكأنه استرضاء للتطرف على حساب الغير، وإبعاد للمتطرفين عن الموضوع السياسي ونقد نظام الحكم، إلا أنه يستجلب خطراً أكبر من نقد النظام السياسي وعدائه، ونقصد بأن هذه الأفعال تؤسس (لإلغاء الدولة) والإنفصال عنها في المناطق المستهدفة بالتدمير والتخريب والتطرف الوهابي.

الأمر الذي يثير التساؤل حقاً هو أن المتطرفين الوهابيين قد أصابتهم حمّى التخريب بلا مبررات دينية حتى تلك المبررات التي عادة ما يتحدثون عنها وهي إبعاد الناس، والمواطنين مجاوري بيت الله وقبر رسوله!، عن (الشرك!). كانت لهم حجج في هدم القباب والأضرحة، ثم تطور الأمر الى تدمير المقابر والمكتبات (نموذج ما حدث لذلك لمقبرة ومسجد ومكتبة السيد علي العريضي في المدينة قبل أكثر من عام)، ثم تطور الأمر الى تدمير المساجد (نموذجها المساجد السبعة) التي أصبحت بنظر متطرفي الوهابية تعبد من دون الله! وهي مساجد يذكر فيها اسم الله! مضى على بنائها أكثر من ١٣ قرناً!

واليوم يبدؤون مرحلة جديدة من مرض التطرف التدميري، تجاه مسجد الرسول وقبره الذي هم سائرون لفصله عن المسجد، واتجهوا ابتداءً الى القبة الخضراء، فلم يعجبهم لونها، ولا تمجيد الشعراء المسلمين لتلك القبة التي أصبحت رمزاً دينياً، فأرادوا تغيير لونها الى الفضي. وعمدوا الى الهلال الذي يتوج القبة فنزعوه ووضعوا ما يشبه بالعمود اللاقط للإرسال!

اندهش الحجاج والمعتمرون وقبلهم مواطنو المدينة المنورة نفسها، وأصيبوا بالذهول، فانطلقت الحناجر تشتكي الى الله، وتتعرض للوهابيين ومن سمح لهم من آل سعود بالعبث بتراث المسلمين، بلا بصيرة وبلا مبرر. وحين وجد المسؤولون ردة الفعل تلك توقفوا حتى الآن ـ وسيعودون لاحقاً بعد أن تهدأ العواطف ـ ولكن مازالت القبة الخضراء ملطخة باللون الفضي.

أي فائدة في مثل هذا الفعل، وأي دين يريد طغاة الوهابية حفظه من الشرك والبدع؟

ليقل لنا مشايخ الوهابية، ومن ورائهم آل سعود: ماذا سيستفيدون من هذا الفعل المشين؟

هل هو الحقد الذي يريد إغاظة المسلمين غير الوهابيين والمواطني المختلفين عنهم؟

أم أن هناك توسعة إضافية لسد الذرائع التي تفضي الى الشرك؟!

أم أن لهم عداءً مع اللون الأخضر، لون الجنّة المحبب لرسول الله؟! وإذا كان كذلك فلمَ كان علم الدولة أخضراً، ولماذا يزاح الهلال وهو رمز للإسلام؟

ما يفعله الوهابيون في الحجاز لا يمكن إلا أن يولد عداءً بين الفئات الإجتماعية، ويعزز نزعة الإستقلال لدى الحجازيين، ونقمة عارمة ضد نظام الحكم السعودي المتخبّط في إدارة الدولة وغير الحكيم في تقدير عواقب قراراته وسياساته. بعض الحجازيين مسرور بما يفعله متطرفو الوهابية، فهو لا يخلو من فوائد كبيرة يصعب تحصيلها في الظروف العادية، فالتدمير الممنهج للآثار الإسلامية من وجهة نظرهم لن يؤدي الى نسيان تلك الآثار، فهي محفوظة بالصور وبالفيديو، ولكن ما سينتج عن ذلك التدمير، هو استعداء العالم الاسلامي على الوهابيين وآل سعود، كما أنه يعزّز لحمة الشارع الحجازي ويشعره بهويته الثقافية والدينية المهددة، ويقطع في الوقت نفسه أواصر الحجازيين مع الحكم القائم، بحيث تدفعهم دفعاً للتفكير في البدائل حيث لا إمكانية للتعايش مع هكذا عقول، ويطلق العنان للأحلام والآمال المستقبلية التي يعود فيها الحجاز لأهله ويعاد بناء تلك الآثار النبوية والإسلامية.

مهما كان التدمير الوهابي بشعاً مؤلماً، والذي لم يتوقف منذ قيام حكم آل سعود، فإن الظرف الحالي غير مناسب جداً لمثل هذا النوع من التطرف، وهذا القدر من المصادمة لمشاعر الجمهور المحلي والإسلامي. ومادام نظام الحكم ومؤسسته الدينية مستعدان للمجازفة، فليكملوا وسيرون في المستقبل غير البعيد كيف أن مشاعر الغضب والعداء تؤتي مفعولها العكسي، وتنتظر اللحظة التاريخية لإنهاء هذا الحكم السعودي الهمجي.

محنة التكفير والاقصاء

إذا كان الفتى سرّ أبيه، فإن سيرة العلامة الراحل السيد محمد بن علوي المالكي رحمه الله تكمن في تحدّره من بيت يضم كوكبة من العلماء الافذاذ الذين ساهموا في نشر المعارف الدينية وأحيوا المراسم النبوية. فأبوه هو السيد العلامة علوي بن العلامة السيد عباس بن عبدالعزيز بن محمد المالكي المكي الحسني

بيت السيد علوي المالكي بمكة المكرمة بيت سياده وعلم وفضل منذ مئات السنين فالسيد عباس و ابوه وجده وابو جده وابوه من فوقه كل منهم عالم فاضل حافظ لكتاب الله ومنهم المدرس والامام و الخطيب بالمسجد الحرام نالوا الفضل والتكريم بالعلم والعمل والنسب النبوي الشريف فالحمدلله على فضله واحسانه.

ولد السيد علوي بمكة المكرمة في بيت المالكي المعروف بباب السلام سنة ١٣٢٨هـ فبدا بحفظ القران الكريم فاتمه وهو في العاشرة من عمره وصلى به التراويح إماماً بالمسجد الحرام... ثم التحق بمدرسة الفلاح منتظماً في سلك الطلبه وبرع واستحق ان يقوم بالتدريس في نفس المدرسة قبل التخرج فكان هو وجملة من الطلاب المهره يقومون بالتدريس للفصول الاولى مع تلقي العلم في الفصول العالية..مع الانخراط في سلك الطلاب بالمسجد الحرام.

شيوخه و أساتذته

منهم والده السيد عباس الذي رباه و أدبه وعلمه واخذ عنه اكثر علومه وقرأ عليه في الحرم والبيت و تخرج عليه ـ الشيخ عمر حمدان ـ الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ـ الشيخ محمد علي بن حسين المالكي ـ الشيخ جمال المالكي ـ شيخ القراء احمد التيجي ـ الشيخ عبدالله حمدوه ـ الشيخ حسن السعيد السناري ـ الشيخ محمد أمين سويد الدمشقي ـ الشيخ محمود العطار الدمشقي ـ الشيخ عيسى رواس ـ الشيخ سالم شفي ـ الشيخ أحمد ناضرين ـ الشيخ محمد العربي التباني ـ الشيخ محمد يحي أمان ـ الشيخ محمد الخضر الشنقيطي ـ والشيخ عمر باجنيد والشيخ عبدالستار الدهلوي، وغيرهم الكثير.

مصنفاته

- العقد المنظم في أقسام الوحي المعظم
- المنهل اللطيف في أحكام الحديث الضعيف
- الإبانة في أحكام الكهانة
- رسالة في إبطال نسبة القول بوحدة الوجود لأئمة التصوف
- رسالة في الإلهام
- رسالة في أحكام التصوير
- إبانة الأحكام شرح بلوغ المرام
- نيل المرام شرح عمدة الأحكام.
- فيض الخبير في أصول التفسير
- فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب

وللسيد علوي المالكي محاضرات دينية وأحاديث إذاعية، جمعها ابنه السيد محمد المالكي تحت إسم: نفحات الإسلام من محاضرات البلد الحرام.

وظائفه العلمية و نشاطه التدريسي و الاجتماعي:

تخرج من مدرسة الفلاح سنة ١٣٤٦هـ فتولى التدريس بها سنة ١٣٤٧هـ واجيز له بالتدريس في المسجد الحرام في نفس السنة. وقد أعطى وقته كله وصرف نفيس عمره للتدريس بالحرم الشريف وكانت له خلوه في باب السلام واخرى في رباط السليمانية الكائن بباب المحكمة سابقا في الحرم الشريف يسكنها جملة من كبار الطلاب. فكان رحمه الله يقضي أوقاته الخاصة بين هاتين الخلوتين لتعليم هولاء الطلاب المجاورين وكان معهم جملة من شباب مكة.

كان له درس يومي في رمضان بعد العصر من سنة ١٣٧٠ الى سنة وفاته وكان يحضره نحو الف شخص وكان يواظب عليه مع شدة الحر وضعف جسمه في اخر حياته كما كان عضوا في اللجنة العليا لتوسعة المسجد الحرام، والتي كان يرأسها الملك سعود.

- كان عضوا في لجنة تحديد أعلام الحرم
- كان عضوا في لجنة الإصلاح بين الناس
- كان له حديث أسبوعي في الإذاعة السعودية
- كان له حديث أسبوعي في صوت الإسلام
- كانت له محاضرة سنوية في ندوة المحاضرات بالرابطة الإسلامية في عهد الشيخ محمد سرور الصبان

وكان رحمه الله مأذونا شرعيا لعقد الأنكحة

وفاته

انتقل والد السيد محمد (السيد علوي) إلى رحمة الله في منتصف ليلة الأربعاء ٢٥ صفر ١٣٩١هـ، ودفن عصر يوم الأربعاء بمقبرة المعلاة، وقد شيعه الألوف من أهل مكة والمقيمين، والقادمين من الأطراف، وحضر جنازته كبار علماء مكة المكرمة، ووقفوا لتقبُل العزاء فيه، وكانت جنازته مشهودة، بحيث امتلأ الشارع من باب المسجد الحرام إلى مقبرة المعلاة

ويقول الشيخ حسن المشاط رحمه الله: (انه لم يشهد في حياته جنازة مثلها وكانوا يقولون ان جنازة شيخنا الشيخ جمال المالكي أعظم واكبر جنازة شهدتها مكة في هذا القرن. قال شيخنا المشاط: أقول بل هذه الجنازة أعظم ولا يخفى الصبح إلا على أعمى او حسود).

وقال الشيخ محمد نور سيف: إن الإمام أحمد بن حنبل يقول: إن أهل السنة والجماعة يعرفون بجنائزهم، فهي محضورة ومشهودة، قال: وهكذا جنازة السيد علوي كانت مشهودة ومحضورة، وما رأينا جمعا كما رأينا في جنازته.

وقد خلف من الأولاد الذكور ولدين هما: السيد محمد والسيد عباس نفع الله بهما واربعة من الاناث حفظ الله الجميع لحفظه ويرعاهم برعايته.

سيرة الابن

العلاّمة الراحل السيد محمد المالكي مذهباً والحسني الادريسي نسباً يتحدر في تقفي نسبه من سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما كما ورد في كتاب أنساب قحطان وعدنان، فمولده في مكة المكرمة في بيت علماء، حيث حضرحلقات العلم في المسجد الحرام وفي مدرسة الفلاح ومدرسة تحفيظ القرآن الكريم وأكمل دراسته الجامعية بالأزهر الشريف وحصل على شهادة الدكتوراه فيها. وقد رحل في طلب العلم الى مصر والمغرب والهند وباكستان وبلاد الشام وأفاد كثيراً من رحلاته في جمع المخطوطات ولقاء الرجال ومعرفة الآثار وكتابة الفوائد.

مشايخ السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي

السيد علوي بن عباس المالكي الحسني ـ توفي ١٣٩١

الشيخ محمد يحيى بن الشيخ أمان ـ توفي ١٣٨٧

الشيخ محمد العربي التباني ـ توفي ١٣٩٠

الشيخ حسن بن سعيد يماني ـ توفي ١٣٩١

الشيخ محمد الحافظ التيجاني شيخ الحديث بمصر ـ توفي ١٣٩٨

الشيخ حسن بن محمد المشاط ـ توفي ١٣٩٩

الشيخ محمد نور سيف بن هلال المكي ـ توفي ١٤٠٣

الشيخ عبد الله بن سعيد اللحجي ـ توفي ١٤١٠

الشيخ محمد يس الفاداني ـ توفي ١٤١٠ وما أدراك من هو الشيخ الفاداني: مسند مكة وشيخ دار

العلوم الدينية بها رحمه الله حدث في مجلس واحد عن ٢٠٠ شيخ مبتدئاً بمشرق العالم الاسلامي ومنتهياً بمغربه!
الشيخ عبدالله أحمد دردوم - توفي ١٤٠٧
الشيخ الفقيه شيخ العلماء حسنين بن محمد مخلوف مفتي مصر - توفي ١٤١١
الشيخ محمد ابراهيم أبو العيون شيخ الخلوتية بمصر
وهؤلاء أكثر الذين لازمهم السيد وأخذ عنهم واستفاد منهم، كما التقى السيد بنخبة من العلماء العارفين من سادة آل البيت النبوي وأخذ عن فحولهم واقتبس منهم الشيء الكثير، وعلى رأسهم السادة من آل باعلوي كالعلامة محمد الشاطري آل باعلوي وما أدراك من آل باعلوي، من أعلى الناس علماً وتقوىً وأشدّهم تواضعاً وحياءً لو جهلتهم لجهلت مجداً من أعرق الأمجاد لهذه الأمة المحمدية، استقر غالبيتهم في بلاد حضرموت، ومنها انطلقوا للدعوة الى الله في أرجاء الأرض. أصحاب مبدأ في حياتهم يمثلون أهل السنة والجماعة، أشاعرة العقيدة متبعون لمذهب سيدنا الإمام الشافعي، يعيشون لاحياء علوم الدين على وجه الأرض. ولو أنصف المؤرخون لسطّروا أثرهم بماء الذهب في فاتحة أي كتاب تاريخ للمسلمين! هل تدري لماذا؟ لأنهم بتوفيق الله غيروا خريطة العالم الاسلامي، فقد أدخلوا الإسلام لأكبر كثافة إسلامية على وجه الأرض (أكثر من ٥٠٪ من مجموع المسلمين) وهذا في آسيا وإفريقيا، وهي أماكن لم تصلها جيوش المسلمين!

جملة من أئمة الدين الذين يروي عنهم السيد محمد علوي المالكي:

الشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوي شيخ الحديث بالهند
الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي شيخ الحديث
الشيخ المحدث محمد يوسف البنوري بكراتشي
الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان
الشيخ محمد أسعد العبجي مفتي الشافعية بحلب
السيد حسن بن أحمد بن عبد الباري الأهدل اليماني منصب المراوعة
السيد المسند العارف بالله مكي بن محمد بن جعفر الكتاني الدمشقي
الشيخ الفقيه شيخ العلماء حسنين بن محمد مخلوف مفتي مصر
الشيخ المحدث أمين بن محمود خطاب السبكي المصري
الشيخ المعمر محمد عبدالله عربي المصري المعروف بالعقوري وهو تلميذ الشيخ الباجوري. ويروي عن الأمير الصغير مباشرة بلا واسطة، فسنده في غاية العلو.

موقف المالكي من التكفير الغاشم

بعد عشرين عاماً من حملة تكفير ضارية ضد العلاّمة الراحل السيد محمد علوي المالكي قررت الحكومة اصلاح ما أفسدته في العقدين الماضيين فتقدّمت بدعوة العلاّمة المالكي الى جلسات اللقاء الفكري. وعلى هامش اللقاء الثاني نشرت جريدة (الشرق الاوسط) لقاء معه تحت عنوان (أول عالم سعودي واجه إتهامات التكفير لـ "الشرق الاوسط": الجفوة ذابت وقرار تكفير خطأ). وقد جاء في مقدمة اللقاء:

بحضوره اللافت وسمته الوقور اضفى العالم والداعية المكي السيد محمد علوي المالكي على جلسات اللقاء الفكري الثاني مزيدا من فرص النجاح للحوار الوطني. فالرجل كان دائما الغائب الحاضر في كل فتوى تكفير جديدة باعتباره يحمل الرقم واحد كأول مواطن وشيخ دين سعودي يرزأ بهذه التهمة. وكان ولا يزال محط انتقاد وتتبع لكتبه وأفكاره الفقهية المثيرة للجدل، وربما كان هذا أول لقاء، بعد أن بلغ السابعة والخمسين من العمر، يجمعه مع مناوئيه في الرأي والرؤى. «الشرق الأوسط» التقته على هامش اللقاء.

* حضوركم للحوار الوطني جدد الى الأذهان قصة الخلاف الشهير حول طروحاتكم الدينية. هل تم تجسير هذه الفجوة؟

- الخلاف موجود وهو متعلق بالآراء والأفكار. والحمد لله أنه في هذا اللقاء الوطني وفي رحابه يمكنني القول ان هذا الجمود قد زال تقريباً، واشعر أن تلك الجفوة قد ذابت. يكفي أننا مجتمعون معاً وان كنا مختلفين في الآراء، فالرأي لا يفسد المحبة ولا المودة.

* كنتم أول من توجه له تهمة التكفير من المواطنين. الآن وأنتم تجتمعون تحت سقف واحد. تم التراجع عن تكفيرك؟.

- رد ضاحكاً لم اعترف يوما بهذا القرار، وليس فيه من الصحة شيء. ولذلك، فليس أنا من يتراجع وانما يجب على الذين اصدروا ذلك القرار بعدما رأوا هذا الواقع ان يتراجعوا، والتراجع ليس عيباً.

* هل لمستم خطوة في هذا الاتجاه؟

- لا، لكن لم ينته الحوار بعد، ولعله يكون في آخر الحوار، وأنا ارجو ذلك.

* هل حواركم اسس على قاعدة من التسامح والتفاهم. أم لا تزال في النفوس اشياء؟

- ارجو ان تكون منطوية على خير. في الظاهر ليس بيننا الا المحبة والمودة والتعاون والتفاهم اللفظي، أما عن النفوس فلا يعلم دواخلها الا خالقها وهي بين يدي الرحمن.

* ناقشتم طرق تصفية الكتب التكفيرية من المكتبات السعودية. هل حددتم معايير معينة للحكم على كفرية هذا الكتاب عن ذاك، خصوصا وان أكثر كتبكم تتهم بوقوعها على كفريات؟

- لا يزال الموضوع تحت البحث. ما اقوله هنا هو أننا نأمل في التوصل الى تحديد هذه المفاهيم بواسطة هذه اللجان، والى ان نصل الى ذلك فستكون النتائج حسنة وجيدة. هناك كتب لغيري ممنوعة. ولست المؤلف الوحيد الذي يواجه مثل هذه التهمة، في اعتقادي أن الحكم على كتبي بأن فيها شركاً او ضلالاً او انها تدعو الى البدعة، لا ينطلق من رؤية متكاملة. ونرجو ان نصل في هذا الحوار الى منهجية شاملة لكلا الطرفين من خلال رؤية شاملة كما يدعو اليه عنوان هذا اللقاء الوطني.

الوهابية هي الاقصاء: تكفير السيد محمد بن علوي مالكي نموذجاً

أضحت الوهابية كلمة مرادفة للاقصاء الواضح الذي تمارسه هذه الفرقة بحجة تملك الحقيقة المطلقة والعقيدة الصافية وحدها دون ملايين المسلمين الآخرين - وكي لانذهب بعيدا، أمام أعيننا قصة التكفير (العار) الشهيرة، والتي راح ضحيتها شيخ المالكية بالحجاز وأحد أحفاد المصطفى صلى الله عليه وسلم وأحد ورثة التدريس بالحرم المكي، وابن امام وخطيب المسجد الحرام الراحل – السيد محمد بن علوي المالكي..

– أصدرت هيئة كبار العلماء قرارها رقم ٨٦ والصادر بتاريخ ١١-١١-١٤٠١هـ الداعي باستنكار ماتجه اليه السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني من (الدعوة الى الشرك بالله سبحانه) (والدعوة الى البدع والمنكرات والضلالات والبعد عما عليه (سلف) هذه الأمة من سلامة العقيدة وصدق العبودية لله تعالى في ألوهيته وربوبيته وكمال ذاته وصفاته).

– ألف المدعو عبدالله بن سليمان بن منيع عضو هيئة كبار العلماء كتابه (حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته) .(عام ١٤٠٣) وكتب مقدمته سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز. تناول فيه المؤلف أحد كتب المالكي واتهمه بالكفر والفسوق والضلاله والابتداع، وطبعه الشيخ الراجحي على نفقته وقام بن منيع في مؤخرة الكتاب بتوزيع التهاني والمدائح على جميع شيوخ الوهابية بالاسماء واصفا إياهم بالعلم والسمو.. وكأن اسقاط واقصاء مرجعية دينية كبيرة حادت عن منهجهم (الوهابية) أضحى لديهم أشد غبطة من الانتهاء من بحث علمي يخدم الاسلام والمسلمين.

– امتدت القضية لتشمل تأليف شيخ وهابي آخر يدعى محمد الفاتح كتاب ضد السيد المالكي أيضا، وغيره من الكتب، لعل أشهرها وأكبرها عارا كتاب لوزير الأوقاف السعودي الشيخ صالح آل الشيخ ردا على كتاب المالكي (مفاهيم يجب أن تصحح)، فوزير الأوقاف السعودي الموقر لم تروق له مفاهيم رجل (كافر) في نظره، فألف كتابه المغالط للشريعة والمشوه للقرآن (هذه مفاهيمنا).. وهو عار لأنه (أي صالح آل الشيخ) اعتمد فيه على الاستحسانات العقلية والظنية، وحاول تطبيق آيات المشركين على المتوسلين (ياللجهل بأصول الدين)!! مع أن المشركين اتخذوا شركاء أو وسائل من دون الله تعالى، بينما اعتمد المتوسلون على حجة شرعية من الله ورسوله صلى الله عليه وآله.. ولكن وزير الاوقاف أصر على عدم التفريق بين ماهو من دون الله وما هو من عند الله تعالى!!!

- قيام شيوخ الوهابية بكتابة وثيقة تطالب بالحجر على فكر وكتب السيد المالكي، وبطرده من المملكة، في خطاب موجه لنائب رئيس مجلس الوزراء (عام ١٤٠٣ هـ)، وبالفعل سافر المالكي لفترة للمغرب والامارات قبل أن يعود مرة أخرى بدعوة من ولي الأمر نفسه، لكن لايزال السيد

ممنوع من نشر كتبه وتوزيعها بالمملكة، علاوة على منعه -بالطبع- من الرد علميا على أي كتاب كفره أو فسقه أو كتب في حقه (اقصاء وهابي مع سبق الاصرار)..

- قيل في الوثيقة التي كتبها شيوخ الوهابية والمرفوعة لولي الأمر: (بلغ من ان لمحمد علوي مالكي نشاطا كبيرا متزايدا في نشر البدع والخرافات والدعوة الى الضلال والوثنية وأنه يؤلف الكتب ويتصل بالناس ويقوم بالأسفار من أجل تلك الأمور). (اقصاء في أسمى صوره، من فرقة لاتريد إلا أن ترى نفسها وتسمع صوتها).

- استفتح شيخ الاسلام الجليل وأحد مفتي الدولة الرسميين وقتها، الشيخ ابن باز كتاب بن منيع بكلمة ((****)) قال فيها: (قد ساءني كثيرا وقوع هذه المنكرات الشنيعة والتي بعضها (كفر) بواح من محمد علوي المذكور، كما أثار بما نشره في كتبه من ضلالات وشركيات وبدع منكرة كثيرة من أهل العلم وفي مقدمتهم هيئة كبار العلماء). (حتى الشيخ بن باز كفره)!!

- منع السيد المالكي من حق مجرد (الرد) بكتاب أو مطوية يدافع فيها عن عقيدته وعن منهج المذهب المالكي (الذي لايروق لشيوخ الوهابية ويرونه كفرا بواحا).. رفض طلبه باجراء مناظرة تلفزيونية أمام جميع أعضاء هيئة كبار العلماء.. صودرت جميع كتبه ومجمعاته وبحوثه.. حرم من مقعد ورثه أبا عن جد بالحرم يقوم من خلاله بتدريس الطلبة ومخاطبة الزوار..

- محاولة اغتيال السيد المالكي والتي قام بها أحد طلاب العلم المغرر بهم بالطبع بعد كل هذه السموم التي تكفر الرجل وتنشر بمكتبات المملكة من تأليف ومباركة الوهابية..

ثم بعد هذا كله.. أليست كل هذه دلائل على الاقصاء الذي تمارسه هذه الفرقة؟! وأليست دلائل جهل فاضح بجوهر هذا الدين وسعته ورحمته من قبل هذه الفرقة؟!حتى مع كل تلك الحقائق أعجب من قناعتهم بأنهم وحدهم هم الفرقة المنصورة وأصحاب العقيدة الصافية ثم كل من خالفهم ضال!!

مشاهدات في تأبين المالكي

- مكة المكرمة بمضايقها الصخرية وهضابها العالية القاحلة ومساجدها العتيقة مع مآذنها الخالدة تبكي فراقك يا خادم العلم الشريف حتى اشجارها قد كساها الحزن والاضطراب. اما طلبة العلم من تلامذتك فقد استحوذ عليهم مرار ولوعة الفراق ودهشة الصدمة في مصابهم الجلل الذي جعلهم يعجزون عن ترتيب افكارهم وتنسيقها فغطوا في حزن كئيب ونحيب مرير ففقدك يا خادم العلم الشريف مصاب جلل للامة وأنت العالم الرباني الذي اشتهى طيلة عمره وظيفة واحدة سعى وتحرق شوقاً لها وهي خدمة العلم وطلبة العلم ففتحت ابواب بيتك وقلبك لجميع المسلمين أيا كانت الوانهم ومذاهبهم ولغاتهم كي تعلمهم الفقه والحديث وتبصرهم بأمور الدين حتى تخرج من بين يديك أجيالاً ربيتهم على العلم والعفة والتقى والورع والخير والصلاح ومحبة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين له باحسان إلى يوم الدين لا أحد ينسى افضالك يا سليل آل بيت النبوة ويا من تربى في بيئة دينية علمية وترعرع على اخلاق العلماء وتتلمذ على ايدي ثلة من اهل العلم والفضل والورع والتقى بالبيت الحرام فتشربت حبهم وسرت على نهجهم وأخلاقهم ونبلهم حتى حظيت بمكانة جليلة وجلست للتدريس في المسجد الحرام وتتلمذ على يديك خلق كثير استفاد من فقهك وعلمك وورعك وقد كان رحمه الله مرحاً جداً تلقائياً إلى حد كبير وكان يملأ المجلس نوراً ودفئاً وتحلو له مشاكسة طلبته من وقت إلى آخر فحظي بحب جارف تجلى كياناً حقيقياً في شخصه الكريم وجبينه الوضاء وقد كان فضيلته يحارب الفكر السخيف واذا كان لديك رغبة ملحة في الخروج من أزمة او حدث يثير اهتمامك بين ظلام دامس او محنة تجعلك تتخبط دون تحفظ او تميز في امور الدين والعقيدة فإن سرعان ما ينبري بعلمه وفقهه وحلمه لازالة اللبس وتبصيرك إلى طريق الصواب والحق دون بغضاء او شحناء فقد كان من ذوي البصيرة والحلم والصبر والاناة وكانت امنيته التي ارادها ان تتحقق في ظل هذه المتاهات الشاسعة التي خرجت إلى فضاءنا بمحن وفتن وتصادم مع صراعات فكرية وخلافات ازلية تدعو إلى انقلاب فكري غير متزن ولا يخدم امة الاسلام على المدى القريب والبعيد حول مسائل فقهية قابلة للاجتهاد قبل موته هو التباحث مع اهل الفكر والحوار على شتى ثقافاتهم ومذاهبهم وانتماءاتهم عن ارضية صلبة للتقارب في الرؤى والفكر والثقافة دون تصادم او شحناء ولكن هاهو الموت يحول بين الاماني والرغبات ويبقى الطريق شائكاً وقد خيم عليه بعتمة كئيبة (إنا لله وإنا إليه راجعون).

(كتبه/ مصطفى عبدالله بحر الدين عبدالله - مكة المكرمة - جريدة المدينة ١٩ رمضان ١٤٢٥ - ٢ نوفمبر ٢٠٠٤).

- شيع أهالي مكة المكرمة الشيخ محمد بن علوي مالكي الذي وافته المنية صباح أول من امس عن عمر يناهز الستين عاماً، الى مثواه الأخير في مقبرة (المعلاة).

وعمّ الحزن أرجاء مكة والمدينة المنورة، وجدة. فمالكي عمدة الفرق الصوفية الاسلامية، وبموته يفقد أتباع هذه الفرق شخصية اتسمت بالتعقل والحكمة، اذ أدار كل مراحل أزمات الخلاف بين تياره والتيارات الأخرى بقدر عال من الاتزان، ومراعاة المصلحة العامة. وكان حذر أنصاره من استغلال الضغوط السياسية على بلاده في إثارة النعرات السياسية والمذهبية. الى ذلك، توقعت أوساط الصوفيين أن يخلف مالكي أحد تلاميذه (عبدالله فدعق، أو اسامة منسي أو أخوه عباس مالكي)، إلا ان وزير الاعلام السعودي السابق الدكتور محمد عبده يماني أبلغ (الحياة) أن الشيخ محمد علوي مالكي (أوصى بأن يخلفه بعض ولده في العناية بالعلم الشرعي وتدريسه) مما يعني في النهاية أنه أراد ان يتخذ ولده خليفة له.

مصطفى الأنصاري

(نقلاً عن جريدة الحياة في ٢٠٠٤/١٠/٣١)

السديس يرفض الصلاة على السيد المالكي

لم يسع إمام الحرم الوهابي المتطرف الشيخ السديس، صاحب الصوت الجميل، والمشاعر المتدفقة التي لا تظهر إلا على الميكرفونات.. لم يسعه ما وسع أولياءه من آل سعود، الذين ما إن رأوا السيول الهادرة المشيّعة للفقيد الراحل السيد محمد علوي مالكي الى مثواه الأخير في مقبرة المعلاة، حتى بادروا مرغمين مهرولين الى دارة العزاء مجاملة للمشاعر العامة الناقمة على المؤسسة الوهابية وآل سعود الذين اضطهدوا الراحل وآذوه في نفسه وشوهوا سمعته الى أبعد الحدود، بل منعوه حتى من إلقاء محاضرة كانت مقررة قبل بضعة أشهر، ألغاها الأمير الألمعي ولي العهد الذي كان أول المهرولين وتبعه أخوه سلطان!

أما السديس فشأنه شأن بقية أعضاء (حزب الليكود) الصربي الذي فرح بموت المالكي، فهؤلاء لا تنتهي معاركهم بالموت، ولا ينقض تكفيرهم فوت. مشايخ المؤسسة الدينية ومنهم السديس، لا يستطيعون التعزية في رجل دين ميت يختلفون معه، وكيف يكون ذلك، وقد نعتوه بالكفر والإلحاد والزندقة والمروق من الدين - أي دين؟! والسديس حينما وضعت أمامه الجنازة للصلاة على السيد محمد في الحرم، كما يفعل عادة، سأل عن صاحب الجنازة، فقيل له إنه السيد محمد علوي مالكي، فارتدّ على عقبه واستعاذ بالله أن يصلي على كافر! قد أراحه الله من بدعته كما يقول! هذا وهو أمام الكعبة المشرفة، بين يدي الله، وأمام الملايين من المسلمين الذين جاؤوا من كل فج عميق في أيام رمضان المبارك. والمفارقة أنه بعد أيام من الحدث الجلل، انكبّ هذا السديس على كتف أوليائه يبارك لهم العيد الوطني، وهو يعلم من هم وماذا يفعلون من كفر بواح!

ولو كان بيد هؤلاء الوهابيين كامل الأمر، لمنعوا الصلاة عليه أصلاً فضلاً عن أن يدخل جثمانه الحرم المبارك، ولربما منعوا دفنه في مدافن المسلمين، فضلاً عن أن تكون في المعلاة الى جانب قبر أبي طالب وخديجة رضوان الله عليها. عجائب الوهابيين وصفاقتهم كثيرة، وهذا أحد مصاديقها، نسأل الله أن يعيننا على بلواهم!

فتاوي القتل الجديدة.. ذاكرة أهل السلف المثقوبة؟

داوود البصري

قد يبدو غريبا للغاية في عصر القتل الجماعي والإرهاب السلفي الترويعي للآمنين والأبرياء والمستأمنين والذي يعاني منه الإنسان العربي والمسلم في كل مكان، أن تصدر مواقف سياسية/ دينية، وفتاوي إستعجالية ذات أبعاد طائفية خطيرة لا تخطيء العين الخبيرة قراءة دلالاتها ومعانيها ومابين سطورها، ومن إين ؟ من أرض الحرمين الشريفين ومن المملكة العربية السعودية بالذات التي تعاني ما تعاني من إنتشار سرطان التيارات الإرهابية والتكفيرية والتي ليست ببعيدة بأي حال من الأحوال عن تفكير وعقلية الأطراف التي أصدرت الفتوى الجديدة التي تدعو العراقيين صراحة لدورات جديدة من حمامات الدم والقتل المجاني! والتي يتطفل مطلقوها على الخيارات الوطنية الحرة للعراقيين ويحاولون تنصيب أنفسهم (كولي فقيه جامع للشرائط) يفتي في أمور الدين والدنيا دون تفويض ولا مبايعة ولا مطالبة واضحة من أهل الشأن العراقي، وبأهداف وأجندات نعرفها جيدا ومرتبطة إرتباطا وثيقا بالمصير المعلوم الذي ينتظر جماعات القتلة والإرهابيين، وبما سيحقق إنجلاء الغمة عن العراقيين ويدع السبيل لهم لبناء وطنهم وتشييد بيتهم بعيدا عن وصاية السلفيين التخريبية أو نصائح آيات الله التدميرية!

فما أدلى به الفقهاء السلفيين في العربية السعودية من آراء عدوانية وتحريض واضح وصريح ضد السلطات العراقية وضد خيارات العراقيين الحرة إنما هو أمر يؤكد بأن معركة العراقيين ضد الإرهاب والقتلة وجموع الخوارج الجدد إنما تكمن العديد من مراكزها العصبية في خارج العراق وبالذات من دول الجوار والتي يبدو للأسف اليوم إن بعض حكوماته قد خضعت لمنطق الإرهابيين الإبتزازي وباتت أسيرة لمواقفهم وإتجاهاتهم! وتركت لهم المجال واسعا لنشر ضلالاتهم وأباطيلهم ودعواتهم التحريضية !! فما ينطلق من مساجد العاصمة الأردنية عمان مثلا من تحريض واضح ضد العراقيين ومن دعم راسخ لقوى الإرهاب والضلالة والقتل لا نجد له رد فعل إيجابي من السلطات الأمنية الأردنية التي تغض الطرف تماما عن تلكم الحملات



التحريضية والإعلامية الواضحة والتي لا تترك للمراقب أي مجال للشك والتردد للتأكيد بأن ما يحصل في العراق من إرهاب أسود إنما يتأتى جانب مهما منه عن طريق تواطؤ ومساندة بعض أجهزة الأمن والإستخبارات العربية وتحديدا الأجهزة الأمنية الأردنية والسورية فضلا عن الإيرانية المعروفة الدوافع والأهداف والمنطلقات؟

وقياسا على ذلك الوضع المؤسف فإن ماأدلى به قبل أسابيع قليلة أحد الإرهابيين العلنيين ومن عمان وهو أحد أبناء الشيخ (عزام التميمي) لإحدى الفضائيات العربية من تشجيع وحث على قتل أفراد ومنتسبي الجيش والشرطة العراقية إنما يشكل تواطؤا عربيا وإقليميا واضحا في دعم جبهة الإرهاب السلفي الأسود ورفدها بكل مستلزمات الحركية اللوجستية! فلم نسمع عن قيام أجهزة الأمن الأردنية بالتحقيق والمساءلة مع ذلك الغلام السلفي؟ ولم نسمع من أن هنالك تعاونا عربيا حقيقيا في مجال توفير الأمن للعراقيين؟ بل أن جل مانسمعه ونقرأه ونشاهده هو تلكم الأصوات المبحوحة بفحيح الأفاعي والوجوه المتسخة الكالحة التي تدعو للقتل والدم والإستباحة وقتل الأميركيين بالجملة والمفرق، رغم أننا نعلم وهم يعلمون والمخابرات السورية والأردنية تعلم من أن إسرائيل تقع على مرمى حجر من بيوت ومساكن وقواعد تلكم الجماعات الإرهابية دون أن تتضرر أو ينالها شيء من فحيح وسموم تلك الأفاعي السلفية المنفلتة والمعبئة بالأحقاد الطائفية المريضة والرؤى الظلامية الكريهة!

والعجيب المفجع في بيان العلماء السعوديين الذين وقعوا وأصدروا البيان الأخير في تشجيع عصابات القتل المسماة بالمقاومة هو جهلها المطبق وإنتقائيتها المريضة، وتحيزها الفاضح في هذه المرحلة بالذات ! فلم نكن نسمع أي صوت أوهمس خافت لتلكم الجماعات أيام النظام البعثي الإرهابي البائد ؟ برغم ملفات الجرائم الفظيعة التي كان يمارسها ذلك النظام ضد الإنسانية وضد المقدسات الإسلامية وضد دول الجوار وضد الشعب العراقي على إختلاف طوائفه وإتجاهاته ؟ ولم نسمع رأيا محددا لهذه الجماعة بعد قيام صدام ببدعته الكبرى المتمثلة في كتابة القرآن الكريم بدمه النجس!! وهي عملية أدانتها حتى الجماعات البوذية !! بينما سكتت عنها الجماعات الإسلامية والسلفية سكوت القبور!، ثم عن أي وحدة وطنية يتحدث بعض فقهاء المملكة السعودية الشقيقة وهم يشاهدون الأفعال التخريبية والشقاقية والإجرامية التي تقوم بها عصابات

القتلة من السلفيين والظلاميين! إنني أعلنها صريحة ولا أتردد عن القول أبدا من أن بيان العلماء السعوديين إنما إنطلق من مبررات طائفية مريضة واضحة لا تريد الخير للعراق وتعمل على تقسيمه ويهدف الرد الشائن على مبادرة السيد المرجع الشيعي علي السيستاني وفتواه المساندة للعملية الإنتخابية والتي تهدف أساسا لحقن دماء العراقيين على إختلاف مللهم ونحلهم وطوائفهم ويهدف تشجيع جميع الأطراف على حوار الصناديق والأحزاب والبرلمان بدلا من حوارات الدم أو إبتزاز الجماعات السلفية الإرهابية التي تريد تقسيم العراق وتحويله لإمارات دينية وطائفية ظلامية ومتصارعة ويهدف تحقيق حلم السلفيين الظلامي والأبدي بتقسيم المنطقة والهيمنة على مقدراتها وإطاحة أنظمتها لتشييد سلطة مجانين الدم السلفي المرعب!

لقد كان من الممكن لبيان العلماء السعوديين أن يحظى بذرة من المصداقية فيما لوكانت هنالك مواقف تاريخية لأولئك العلماء والفقهاء في دعم قضايا وهموم العراقيين في السابق؟ أو كانت لهم مواقف معلومة في مقاومة وكشف وتعرية الإرهاب البعثي أو الإنتصار لظلامات العراقيين التاريخية! أما أن يصدر ذلك البيان المسموم والعدواني ذو الخلفية الطائفية المريضة في الفترة التي يتهيأ فيها العراقيون لتصفية جيوب الإرهاب والتخلف الإجرامي السلفي فإن في الأمر تكتيك واضح هدفه تخريب الجهود الوطنية العراقية في تهدئة الموقف وبناء دولة القانون والمؤسسات الديمقراطية التي تنتصر للإنسان الذي هو أثمن رأسمال بإعتباره خليفة الله في أرضه، وهي الإشكالية التي لايفهمها الأغبياء والمتخلفون من عصابات السلف البدائية الذين لازالوا يعتقدون بأن الأرض مسطحة!!

وبهذه المناسبة أطالب السلطات السعودية وهي تخوض أيضا حربها المعلنة ضد الإرهاب الأسود بالسير على خطى المؤسس العظيم الراحل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي تصدى لأولئك الخوارج القتلة وأفشل ريحهم وهيأ الظروف لقيام مملكة عصرية وحداثية ينبغي أن تستمر بوتائر متسارعة لأن تلجمها وتحد من إنطلاقتها زمرة من القتلة والمسعورين والمتخلفين !... نقول لبيان العلماء في الجزيرة العربية... خاب سعيكم.. وطاش سهمكم... والعراقيون ليسوا بحاجة لنصائحكم السقيمة المريضة... فعند (نعال أبو تحسين) الخبر اليقين !... ولن يفلح الإرهاب من حيث أتى؟

عن ايلاف ٧/١١/٢٠٠٤

http://www.elaph.com/ElaphWriter/2004/11/20431.htm

الإنتخابات البلدية ولا عزاء للسيدات

الوسط السعودي بجميع أطيافه وتنوعاته تفاجأ بقرار عدم السماح للمرأة السعودية بحق الإنتخاب وحق المشاركة في صنع القرار كأنسانه شريكه للرجل في حياته وتعيش معه في وطن ومجتمع واحد وتحمل نفس التطلعات والهموم التي يحملها الرجل. لا أتحدث عن حق المرأة بالترشيح كممثله في المجالس البلدية الذي اختلف البعض فيه بين التأييد والرفض وقد تم حسمه بقرار القيادة بأن السماح للمرأة بحق الترشيح في هذه المرحلة أمر غير وارد... إلا أن الشي غير المفهوم وغير الواضح وهو بالفعل غير مبرر ولا يوجد له أي تفسير، هو عدم السماح للمرأة بالتصويت للناخب التي تعتقد أنه الشخص المناسب والكفوء بتحقيق مطالب الأسرة والحي والمجتمع ككل. الحرمان من حق الترشيح لا يعني تلقائيا الحرمان من حق الإنتخاب والمشاركة في صنع القرار كما يحاول البعض فهم الامور بهذه الطريقة الضيقة والمجحفة، فحق الترشيح وحق الانتخاب هما حقان منفصلان عن بعضهما البعض، وكل حق من هذه الحقوق له مبرراته وتفسيراته.

المرأة السعودية كانت دائما أخت الرجل وشريكة حياته ورفيقة دربه وقد شملها مثل ما شمل الرجل السعودي من تعليم وتقدم وتطور وكان حظها وافرا في جميع مجالات الحياة حتى شاهدنا الان عددا هائلا من النساء السعوديات اللواتي يحملن أعلى الشهادات الجامعية وقد تبوأن مناصب رفيعة ووصلن الى مراتب عالية في جميع مجالات الحياة وفي جميع التخصصات. الا أنه مما يحز في النفس هو تلك التصريحات المتعاقبة والمتتالية من المسئولين والمشرفين على الانتخابات البلدية والقائمة الطويلة من التبريرات والحجج الواهية بعدم السماح للمرأة السعودية بحق الانتخاب، ولقد قرأت وتابعت هذه التبريرات فوجدتها بالفعل غير مقنعة ولايكمن أن يصدقها العقل والمنطق. والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المرحلة بالذات هل هناك أسباب أخرى غير معلنه تم فيها حرمان المرأة السعودية من حق التصويت وأن هذه الحجج التي يطلقها المركز الاعلامي للإنتخابات هي للإستهلاك الأعلامي ولمجرد ذر الرماد في العيون؟

التقليل من شأن المرأة السعودية في هذا العصر خطأ كبير لا يمكن تجاهله أو المرور امامه مرور الكرام فعدد النساء السعوديات قد تجاوز السبعة ملايين أمرأة، ونسبة التعليم وصلت الى نسب عالية وكبيرة حتى أصبح تجاهل هذا العدد بكل بساطه يعني أن المجتمع لا يمكن له النمو والتطور، وأن أي خطط إقتصادية أو إجتماعية في المستقبل سوف يكون مصيرها الفشل أذا استمر هذا التجاهل بهذه الطريقة الغريبة.

عندما نتحدث عن حق المرأة في الانتخاب فإننا لا نتحدث عن أمر غريب وجديد أو أنه شئ مخالف للعادات والدين أو أنه من تبعات الحياة الغربية، بل الحقيقة أن لا يوجد في الدين الأسلامي ما يمنع المرأة من الادلاء بصوتها والذهاب الى صناديق الاقتراع، وحسب علمي لا يوجد دوله في العالم توجد فيها إنتخابات من أي نوع وتمنع المرأة فيها من حق التصويت، وآخر هذه الدول أفغانستان بصورتها الجديدة في عهد ما بعد طالبان.

هناك لبس وخلط كبير في المفاهيم عند البعض فالذي يرفض هذا الحق البسيط للمرأة يعتقد أن لو تم السماح لها بذلك فأنه سوف تكون هناك كارثة كبرى سوف تحل بالمجتمع، وأن جميع النساء سوف يتركن أعمالهن وبيوتهن ويذهبن ألى مخالطة الرجال عند صناديق الإقتراع وما يصاحبها من لغو ونقاشات، وان المرأة سوف تحضر مجالس الرجال وسوف تجادل المرشحين وتناقشهم وتخالطهم، وهذه للأسف الشديد نظرة ضيقة ودونية وغير مدركة للأمور ولا تعرف غير وضع العوائق أمام كل مطلب نسائي حتى ولو كان بسيطا بحجج واهية لم يعد لها مكان في هذا الزمن. الحقيقة التي يجب أن يدركها كل معارض لذلك بأن حق الانتخاب للمرأة لا يعني أجبار النساء على الذهاب الى صناديق الاقتراع والأدلاء بصوتهن بل حق الأنتخاب يعني أن تترك للمرأة كامل الحرية في الأشتراك في التصويت او عدم الاشتراك، وحتى لو أدلت أقل من ١٪ من النساء في الأقتراع فإن ذلك يعتبر مؤشرا جيدا، فالمهم هو أعطاء ذلك الحق للمرأة والقرار النهائي يعود إليها وهي التي تقرر أن شاءت أدلت بصوتها وأن شاءت امتنعت، شأنها في ذلك شأن الرجال أنفسهم. ففي استفتاء في جريدة عكاظ تبين أن الغالبية العظمى من الرجال ليس لديهم الحماس الكبير أو الرغبة بانتخاب مرشحيهم ومن يدري فربما من يتقدم الى صناديق الإقتراع لن يتجاوز الا نسبة بسيطة ممن كفل لهم النظام حق التصويت.

من المستغرب أن يسمح للرجل بالإنتخاب، وبينهم من لا يدرك أهمية الانتخابات أو ربما لا يعرف بعضهم أكثر من القراءة والكتابة، بينما يتم حرمان المرأة الجامعية، أو التي حصلت على اعلى الشهادات العليا او ربما تعمل في منصب رفيع ومتميز أو قد تكون أستاذة جامعية او من سيدات الأعمال. إن السماح للمرأة السعودية بحق الإنتخاب خطوة مهمة وكبيرة من أجل النهوض بالمرأة السعودية ويعني ولادة المزيد من الوعي والإدراك والتلاحم الأسري والشعور بالحس الوطني الذي دائما نحن متهمون بأننا مقصرون فيه.

عن منتدى دار الندوة

العنف والإصلاح الدستوري في السعودية

أ. د. متروك الفالح





العنف ظاهرة قديمة قدم البشرية. ومع التغيرات الضخمة في هيكلة المجتمعات وبنائها وتنوعها وتقاطع أطرافها واحتياجاتها ومصالحها، ومع التقدم التقني في عناصر القوي المادية، وكذلك في عناصر نقل المعلومة بالصورة الفورية، أخذ العنف يتزايد في انتشاره وفي آثاره، وبالتالي ولد قلق الناس واهتمامهم المتزايد ومتابعتهم في كل مكان. وإذا كان العنف ظاهرة موجودة في كل زمان وفي معظم المجتمعات بدرجة أو بأخري، فإن الذي يهمنا هنا هو ملاحظة أن منطقتنا العربية وبلداننا العربية تشهد في معظمها درجات متزايدة من العنف وصل بعضها إلي حالة من الصراع الاجتماعي المفتوح (الحرب الأهلية). ولما كانت السعودية من البلدان العربية التي بدأت تشهد، وبخاصة منذ أحداث أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م، وبالذات منذ ١٢ أيار (مايو) ٢٠٠٣م، أعمالاً متصاعدة من العنف، فإن معالجة الموضوع من حيث العلاقة بين العنف والإصلاح ـ وبخاصة مدي تأثير الأول في مستقبل الأخير ـ هي من القضايا الأساسية المتصلة بفكرة ومطالب الإصلاح الدستوري في السعودية.

في مناقشة العلاقة بين العنف والإصلاح الدستوري، ننطلق من محطات أساسية ذات صلة بالعنف، ومنها:

١ ـ تعريف مفهوم العنف وتحديده.
٢ ـ مناقشة متغيرات العنف (تفسير العنف) في السعودية.
٣ ـ العنف والإصلاح الدستوري.

أولاً: في مفهوم العنف

إن أية معالجة لقضية ذات صلة ببعض المفاهيم تحتاج أن تحدد تلك المفاهيم من خلال تعريف يوضح مكوناتها وخصائصها. وعليه يمكن من خلال سياق علم الاجتماع السياسي تعريف العنف علي أنه: كل تصرف أو سلوك بشري ينزع إلي استخدام قدر من القوة القسرية (بما في ذلك الإكراه والأذي الجسدي الذي يتضمن الضرب والأذي النفسي وغيرهما) وبخاصة الاستخدام غير المشروع للسلاح ولتقنيات التعذيب التقليدية والحديثة، أو المخالف المنتهك لحقوق الإنسان الأساسية التي أقرتها الشرائع السماوية والمواثيق الدولية في التعامل مع أو إدارة العلاقات الإنسانية، بما في ذلك وبدرجة أساسية الاختلافات في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبهدف تحقيق غايات في تلك المجالات تتراوح بين الإخضاع والضغط والتعديل والتهميش (الإقصاء)، وبين الاستئصال والتصفية والتغيير الشامل لتلك العلاقات وبالذات أطرافها (فواعلها)، وقد يطال أذاه آخرين غير مستهدفين. هذا السلوك البشري القسري غير السلمي يحدث بين الأفراد أو الجماعات أو السلطات بعضها تجاه بعض داخل مجتمع معين، أو بين مجتمعات معينة وعناصر معينة.. ويتولد أساساً من تقاطع أو تداخل أو تضافر عناصر من بيئات في تلك المجتمعات صغيرة أكانت أم كبيرة، رئيسة أم فرعية، حبلي بتعقيداتها من اختناقات واختلالات في تلك المجالات. وفي مرحلة لاحقة قد يصبح العنف والعنف المضاد مغذيين لتلك البيئات المحفزة، وربما مدمرين لها.

وبناء علي ذلك فإن هذا التحديد أو التعريف للعنف يتضمن العناصر والمكونات والخصائص الرئيسة التالية:

١ـ سلوك بشري مع الآخرين ـ أو تجاههم أو بينهم.
٢ـ غير سلمي (مسلح ـ قسوة ـ تعذيب... الخ).
٣ـ غير مشروع، وهذا يعني أن هناك عنفاً مشروعاً، كمقاومة الاحتلال أو الاستعمار.
٤ـ مخالف أو منتهك لحقوق الإنسان الأساسية، وهذا يعني أن الحق المشروع للدول والحكومات في ممارسة العنف من أجل فرض السلم الأهلي يجب ألا ينتهك حقوق الناس الأساسية، بما في ذلك عدم الاعتقال والسجن و التعذيب والتحقير والإكراه النفسي للمتهم... الخ.
٥ـ مجاله العلاقات الإنسانية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
٦ـ أهدافه وغاياته : إلحاق قدر من الأذي يتروح بين الإخضاع أو الضغط أو التعديل أو التهميش وبين الاستئصال والتصفية والتغير الشامل لتلك العلاقات وأطرافها البشرية من أفراد أو جماعات أو سلطات، أو بعضها علي الأقل.
٧ـ أطرافه : الأفراد والجماعات والسلطات (الحكومات) بعضها تجاه بعض في مجتمع بعينه، وبين مجتمعات مختلفة أو بعض عناصرها مع العناصر الأخري.
٨ـ ومن خلال أهداف العنف وأطرافه، فإن هناك أنواعاً منه. فهناك العنف الأسري والعنف الثقافي والعنف السياسي الذي قد يأخذ أشكالاً متعددة، بما في ذلك الصراع أو العنف الاجتماعي المفتوح أو الحرب الأهلية.
٩ـ إنه ناتج مركب من اختلال بيئة مجتمعات تلك الأطراف أو بعضها واختناقاتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، أو من عوامل داخلية، أو من تقاطع أو تداخل بين عناصر من بيئات مجتمعات مختلفة (عوامل خارجية).
١٠ـ إن للعنف تداعيات قد تلحق الأذي والضرر بغير المستهدفين أصلاً: الأبرياء الذين لا علاقة لهم بالأطراف مباشرة. وقد يؤدي العنف والعنف المضاد ودورتهما إلي أن يكون ذلك العنف منتجاً ومغذياً لتلك البيئات المختلة، وقد يؤدي إلي دمارها.

ثانياً: في تفسير العنف في السعودية [١]

١ ـ البيئة والعوامل الداخلية:

لكل حالة أو ظاهرة عوامل مكونة لها. والعنف كظاهرة اجتماعية هو

الآخر منتج مركب من عوامل متصلة ببيئة داخلية، أو بتداخل من عوامل بيئة خارجية، أو بخليط منهما معاً. والعنف الذي عرفناه آنفاً هو تعريف مجرد عـام، بمعنى أنه يشمل جميع أنواع العنف وأطرافها المحتملة وغاياتها المحتملة. ولكننا هنا نريد أن نركز على حالة أو ظاهرة العنف التي تجري في السعودية، وبخاصة منذ أيار (مايو) ٢٠٠٣م، رغم أن جذورهـا تمتد في بـعض العـقـود السـابـقـة. إن العـنف الذي يجري في السعودية هو من نوع العنف العام أو السياسي، ذلك أن أطرافه هي بعض الفئات من المجتمع والسلطة وغاياته تبدو سياسية، وذلك على رغم تداخل الغايات والأطراف الأخرى، وكذلك البيئات المولدة لها.

إن الخطاب الرسمي، وكذلك الثقافي والفكري والإعلامي الموازي، يقدم العنف أو الإرهاب على أنه ناتج عن الغلو والتطرف في الأفكار وبعض الخطاب الديني، باعتبار ذلك أفكاراً ضالة ومنحرفة، وأنها تعود في جزء كبير منها إلى تأثر أطرافه (بمن في ذلك عناصر من الخارج) بالفكر الإخواني (الإخوان المسلمون). على أن علم الاجتماع السياسي لا يقبل التفكير الأحادي للظواهر، إذ ليس هناك ظاهرة اجتماعية يمكن تفسيرها فقط بالاعتماد على عامل واحد مهما كانت أهميته. ومع ذلك فلنفترض أن ذلك التفسير الأحادي للعنف (الارهاب) هو صحيح من باب الجدل العلمي، فنقول أولاً، إذا كان ذلك صحيحاً، فمن الذي سمح بذلك الفكر والخطاب الديني المتطرف؟ ومن الذي قبل بإدخاله في البلد و السلك التعليمي والتربوي؟ أليست الدولة (الحكومة في السعودية) هي التي سمحت بدخول عناصر من الإخوان المسلمين من مصر والشام؟ وكانت تدعم الاتجاهات الإسلامية ونشاطها وأطرها ومرجعيتها التنظيمية في فترة الستينيات بالذات في صراع مع مصر (الناصرية) وما بعدها، وفي سياق الحرب الباردة العربية والحرب الباردة العالمية (أمريكا والسوفييت)؟ ونقول ثانياً إن هناك عناصر من المنخرطين في العنف أو الإرهاب لهم صلة بالجهاد في أفغانستان في فترة الصراع الأفغاني والمقاومة ضد السوفييت. وهذه العناصر ـ بمن فيها عناصر من القـاعدة علـى رأسهـا أسـامـة بن لادن ـ كانت الدولة السعودية والولايات المتحدة الأمريكية هما اللتين تغذيانها وتدعمانها حتى انسحبت القوات السوفييتية من أفغانستان في أواخر عام ١٩٨٩ م (٢). ونقول ثالثاً إن الفئات المنخرطة في أعمال العنف والإرهاب الحالية هي في أكثرها عناصر شابة لا تتجاوز أعمارها الخامسة والعشرين، وهو ما يدل على أن تلك الفئات والعناصر هي وليدة وإنتاج البيئة السعودية ذاتها حتى لو ركزنا على مسألة ثقافية بعينها وخطاب ثقافي بعينه، ذلك أنهم نتاج المدارس أو الجامعات السعودية أو المعاهد التعليمية والمرتبطة أساساً بسياسات التعليم الحكومية. فمن هو المسؤول يا ترى عن إنتاج تلك السياسات التعليمية الحكومية؟

الدين ليس الا عاملا من العوامل

وعليه فإنه في سياق تحليل علم الاجتماع السياسي لظاهرة العنف في السعودية، يمكن قبول أن الخطاب الديني له بعد تفسيري للعنف، ولكن هذا الخطاب الديني، من حيث قيمه ومقولاته في التطرف والغلو، ليس إلا عاملاً واحداً وفي سياق مجموعة عوامل أخرى. وهو ليس العامل الحاسم بذاته في تفسير العنف، على أية حال. في تعريف العنف نجد ضمن مكوناته كمفهوم أنه منتج أو ناتج مركب من بيئة فيها اختلالات واختناقات في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لذلك نقول إنه في سياق العوامل الداخلية فإن البيئة السعودية، وانغلاقها، وتقاطعات وتضافر عواملها هي المولدة للعنف ـ رغم المجال السياسي في العلاقة بين الدولة والمجتمع وفي سياق.

الممارسات والسياسات الحكومية ـ تكون الأوفر حظاً في توليد ذلك العنف، وهي المسؤولة عنه بدرجة أساسية. وسنبين ذلك ونفصله في ما يلي:

أ ـ في المجال الثقافي: إضافة إلى مسألة مسؤولية الخطاب الديني لغلو وتطرف قيمه ومقولاته، وبغض النظر عن كونه ذا صلة بمصادر خارجية (الإخوان مثلاً) (٣)، فإن السياسات الحكومية خلال العقود الماضية، وبالذات الثلاثة الأخيرة، ولا تزال مستمرة في الثقافة والتعليم بما في ذلك المجال الديني وكذلك في الاعلام، هي التي ولدت تلك الإقصاءات المتعلقة بتلك المجالات بما فيها مسألة الخطاب الديني وتطرفه وغلوه. ففي المجال التعليمي، هناك سيادة أحادية التعاليم لمدرسة ترتبط بالمدرسة الوهابية، وهذا واضح في المناهج التعليمية ابتداء بالابتدائية وانتهاء بالجامعات، وحتى في التخصص في الجوانب الشرعية حيث تغلب عليها تعاليم المدرسة الوهابية وفهمها. إضافة إلى ذلك فهناك في المدارس والجامعات السعودية سواء أكانت دينية أم غيرها غياب للحوار والمناقشات. ويسود التلقين والحفظ والتوجيه بدون مناقشة، فلا رأي آخر، ولا تركيز على تطوير وسائل أساليب الفهم.

وفي الجانب الثقافي العام، والإعلامي الصحافي تحديداً، فإن هناك رؤية واحدة في الغالب تمثل الدولة وسياساتها مع غياب واضح ومتعمد للرأي الآخر. وفي موازاة ذلك هناك كبت وقمع ثقافي، وبخاصة على مستوى غياب الندوات والمحاضرات و المؤتمرات الداخلية، والتضييق على المثقفين في المشاركة في تلك المؤتمرات الموازية في الخارج بما في ذلك المنع من المشاركة في البرامج الفكرية والثقافية والسياسية في القنوات الفضائية العربية. وكذلك قلة معارض الكتاب وندرتها، وهي تخضع أصلاً لدرجة كبيرة من الرقابة، كما هي حال وسائل المعلومات الحديثة كالانترنت مثلاً، ومواقعها حيث هناك منع وحذف لكثير من المواقع وأحياناً قفل ومنع لها، وبخاصة إذا كان مصدرها أو أصحابها من المثقفين من أبناء البلد، هذا فضلاً عن غياب مراكز الترفيه. من هنا، فإننا أمام منهجية مبرمجة من عملية متواصلة للتجهيل تؤدي حتماً إلى انغلاق الرأي والبصيرة والحوار، وبخاصة على مستوى الشباب الناشئ للتو. لذلك ليس غريباً عليهم التشدد والتطرف وعدم التسامح والجنوح أو النزوع باتجاه العنف، وخصوصاً في ضوء تضافر العوامل الأخرى في المجالات الأخرى كما سوف تتكشف، تالياً، في مناقشة الأجزاء المتبقية من عوامل العنف.

ب ـ في المجال الاجتماعي والاقتصادي والنفسي: حيث إن هناك تداخلاً كبيراً بينهما، ونلاحظ اختلالات في السياسات والممارسات الحكومية فيهما. أولاً هناك سوء توزيع للثروة والموارد في سياق التنمية لتوفير الخدمات والحاجات الأساسية للناس في كافة المناطق وعلى نحو متوازن. ثمة خلل كبير في بعض المناطق والأرياف لحساب بعض المناطق أو أجزاء منها، وكذلك في المراكز (المدن أو أجزاء منها)، إذ ليس كل المدن ـ بما فيها المدن الرئيسية مثل الرياض أو جدة مثلاً ـ تخلو من هذا الخلل حيث لا تتوازن الخدمات في كافة أحيائها. إضافة إلى ذلك وفي موازاته، هناك هدر للمال العام سواء تعلق الأمر بإدارة الأموال العامة، وبخاصة في سياق الميزانية العامة للدولة فضلاً عن ما هو خارجها، وهو ما يعني قدراً غير قليل من الفساد المالي تحديداً، طالما لا توجد آلية مجتمعية قانونية دستورية للرقابة والمحاسبة.

ذلك ليس غريباً مع غياب أو وجـود خـلل في العدالة الاجتماعية أن يكون هناك قدر متعاظم من التظلم والتضجر الاجتماعي الجماعي والحرمـان النسبي(٤) (Relative-deprivation and Collective Social Injustice Frustration) لدى قطاعات متزايدة من السكان، وبخاصة في بعض المناطق، ومنها الجنوبية والشمالية، وكذلك قرى وأرياف المناطق الأخرى، إضافة إلى هوامش وأطراف حتى المدن الرئيسية. وليس غريباً أن تجد أعداداً من المنخرطين في أعمال العنف (الإرهاب) يتحدرون من تلك الأجزاء أو الأحياء الاجتماعية أو المناطقية. ومن هنا يلاحظ تمركز فئات وعناصر من المطلوبين في أحياء من أطراف مدينة الرياض مثل السويدي والنسيم والشفاء... إلخ.

عندما نتكلم عن حالة التظلم الاجتماعي والجماعي والحرمان النسبي لدي فئات وقطاعات من أبناء البلد، وبخاصة في بعض المناطق وبعض الأجزاء الأخري، فإننا لا نتكلم بالضرورة عن الفقر والإفقار علي المستوي الفردي، ذلك أن الأفراد المنخرطين في العنف قد يكونون أغنياء بذاتهم، ولكنهم انطلاقاً من الإحساس بالتهميش والدونية من قبل الدولة وإدراكه والتفكير فيه بعمق علي مستوي البعد الجماعي لجماعة ما في منطقة ما، فإنهم غالباً ما ينفسون عن ذلك بالانخراط أو الانحراف في عمليات العنف، إن لم يكن بغيرها من الانحرافات. ولعل من المفارقات العجيبة أن الحكومة السعودية وحتي وقت قريب لم يتجاوز السنتين تقريباً اعترفت بوجود حالة الفقر داخل المدن الرئيسية بما في ذلك مدينة الرياض، حيث قام ولي العهد الأمير عبد الله بزيارة أحد الأحياء الفقيرة فيها. قبل ذلك لم يكن أحد يعرف من المسؤولين عن تلك المسألة، بل لا يريد أن يثيرها، وذلك لتناقضها الفاضح مع قدرات الدولة المالية الهائلة مقابل عدد سكان غير كبير في البلد. وإذا كانت تلك مفارقة عجيبة، فالأعجب أيضاً مفارقتان متلازمتان: المفارقة الأولي هي أن الإعلام السعودي لم يتطرق قبل هذه الزيارة إلي الواقع الاقتصادي المتردي لفئات اجتماعية من المواطنين، وبخاصة في سياق حالة وواقع الفقر. وهو إثبات آخر علي تبعية الإعلام وعدم استقلاليته في تناول المواضيع العامة والتي تدل علي تهميش واضح للرأي الآخر. والمفارقة الثانية هي أن الحكومة السعودية أقرت قبل وبعد زيارة الأمير عبد الله لذلك الحي الفقير في الرياض استراتيجية لمكافحة الفقر في البلد، ولكن هذه الاستراتيجية خصص لها أو جمع لها مبلغ يتراوح بين مئتين إلي ثلاثمئة مليون ريال سعودي. في المقابل ومع اندلاع أعمال العنف منذ أيار (مايو) ٢٠٠٣ م خصصت الحكومة لمكافحة العنف والإرهاب أكثر من ٥ مليارات ريال سعودي، وذلك في ميزانية عام ١٤٢٤ ـ ١٤٢٥هـ ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤م. وفي كل هذا وذاك يتكشف دور الإعلام المسيطر عليه بأحادية الرأي والتوجه الرسمي، فهو لا يثير القضايا إلا بالضوء الأخضر، ويتوقف مع الضوء وعند الخط الأحمر.

ـ في سياق مسألة مكافحة الفقر ومكافحة العنف أو الإرهاب والمبالغ المخصصة لها، هناك عدة ملاحظات منها :

رغم أن أحداً لا ينازع في حاجة الأمن إلي أموال وموارد تخصص، إلا أن الأمن يمكن الوصول إليه بطريقة التنمية المتكاملة المتوازنة لكافة المواطنين والمناطق، وبما يعني ضمان حاجاتهم المادية الأساسية وكراماتهم الإنسانية في مجال الحقوق والحريات. وهذا النهج حتي الآن لم يتبع بعد. فهل الأمن هو المنهج الأفضل لمعالجة قضية الإرهاب والعنف؟

وفي ميزانية مكافحة الفقر وما خصص للعام ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤ م نحن أمام المعادلة التالية: ١٧/١، بمعني أن هناك ريالاً واحداً مخصصاً للفقر مقابل سبعة عشر ريالاً يصرف للأمن، وهذا الأخير فقط لميزانية عام واحد، بينما الأول (الفقر) قد تكون ميزانيته تشمل عدة سنوات.

ـ في كل ذلك، من يقرر ماذا ومتي وكم هي تلك الأموال؟ وكيف تصرف، وعلي أي أساس؟ في النهاية يبقي المواطن يتفرج علي لجان تشكل باسمه لمعالجة أوضاعه وحاجاته دون أن يكون شريكاً في عملية صنع تلك السياسات. ويبقي المواطن الفقير، بشكل خاص، خارج تلك الدوائر وصناعتها، وقد تصله تلك الأموال وقد لا تصله. وعلي أية حال فليس هناك ضمان قانوني أو دستوري لتحقيق ذلك. لذلك ليس غريباً أن مجموعات من هؤلاء المواطنين الفقراء، والذين قد ازدادوا فقراً مع الوقت، قد تشكل بيئة خصبة للاختطاف باتجاه العنف، بغض النظر عن المسوغات سواء أكانت دينية أم اقتصادية، واعية أم جاهلة.

ج ـ **في المجال الاجتماعي**: أيضاً هناك تهميش للناس من خلال هدم وتدمير البني الاجتماعية التقليدية من الأسر أو العائلات أو العشائر والقبائل... إلخ. في المقابل لم تعمل الحكومة علي إيجاد بدائل من بني وأطر اجتماعية حديثة تستوعب الأفراد والفئات الاجتماعية بحيث يمكن أن ينخرطوا فيها مع الآخرين في نشاطات سليمة تدافع عن حقوقهم ومصالحهم، وتفصح عن رغباتهم تجاه الدولة وفي الوقت نفسه تقدم لهم إمكانية أن يحددوا آلية للمشاركة والمحاسبة والرقابة سواء تعلق الأمر بهم كمجموعات أو بينهم وبين الدولة (السلطات) أو ما يسمي بالاحتساب علي السلطة، وفي ما بينهم من خلال جمعيات واتحادات أهلية مدنية. مع غياب تلك المؤسسات والجمعيات الحديثة في الوقت الذي تدمر فيه المؤسسات والبني التقليدية، فإن كافة المواطنين والناس عموماً أفراداً و جماعات، وبخاصة الشباب، لا يجدون وسيلة وإطاراً يعملون من خلالهما فيفصحون عن رغباتهم ومطالبهم وحقوقهم بطريقة سليمة تجاه الدولة وتجاه بعضهم البعض، لذلك ليس غريباً في سياق تلك الوضعية من فقدان الأطر الاجتماعية الأهلية والمدنية المستقلة، وكذلك بالتلازم مع ضعف الدمج بين الجماعات والمناطق (الوحدة الوطنية) من خلال سوء إدارة الموارد، وكذلك سوء إدارة التنمية وتوازناتها (الخلل في العدل والعدالة الاجتماعية)، أن هناك قدراً من الضعف في الانتماء والولاء للدولة والسلطة. وهذا ما يفسر نزوع أفراد وفئات من المجتمع إلي منح ولائهم لقيادات وزعامات خارج البلد ـ كما هو ملاحظ عند أولئك المرتبطين بالقاعدة مثلاً.

د ـ **في المجال السياسي** تتبدي كل تلك الاختلالات السابقة وتتمظهر جلياً باعتبارها امتداداً وانعكاساً لبنية السياسة والدولة وممارساتهما. ولعل المعضلة الكبري في كل هذا وذاك من اختلالات تعود إلي طغيان الاستبداد وشموليته لمناحي الحياة، وأحياناً لمجالات كثيرة بأدق تفصيلاتها. نحن أمام دولة ذات سلطة مطلقة لا فصل فيها للسلطات، ولا وجود لمشاركة شعبية من خلال سلطة نيابية لها سلطة رقابية ومحاسبة علي السلطة التنفيذية. لا سلطة قضائية مستقلة بإجراءات وهياكل ومعايير، ولا وجود لآليات وأطر اجتماعية للاحتساب الجماعي علي السلطة وفي ما بينها، وبالتالي ليس غريباً أن يفتقد العدل لأسس إقامته، وأن يختل تحقيق العدالة الاجتماعية، وتغيب الحريات، وتنتهك بما في ذلك حرية الرأي والتعبير والتجمع المدني السلمي، وتهدر الحقوق، ويستشري الفساد المالي والإداري، ويهدر المال العام دون حسيب أو رقيب، طالما ليس هناك دستور وحكومة دستورية.

والسؤال هنا، ما هي العلاقة بين قضية الاستبداد السياسي والعنف؟

طبائع الاستبداد

يمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال عدة محاور متصلة بمسألة الاستبداد وكون الدولة والحكومة كسلطة حكومة ذات سلطة مطلقة شمولية، وذلك علي النحو التالي:

أولاً: الاستبداد يعني في الوقت ذاته القمع والقهر والإقصاء للمجتمع أفراداً وجماعة. إن عدم وجود فصل السلطات يعني أن صناعة القرار محصورة بفئة معينة ومقصورة عليها،أما الشعب فإنه خارج السلطة والعملية السياسية وصناعة القرار بالذات. إذاً هناك إقصاء للمواطن من السياسة ومن صناعة القرار، أي أن هناك قرارات تتخذ في مجال السياسة الداخلية والخارجية في ظل تهميش لرأي الشعب، الأمر الذي يعني احتمال وجود قدر من الاعتراض الشعبي علي عدد من القرارات، لكن الحكومة (السلطة) تتصرف دون استشارة شعبها. من ذلك مثلاً قرار الإذن بدخول القوات الأمريكية الأراضي السعودية أثناء وبعد أزمة الخليج الثانية ١٩٩٠، وقد استمر ذلك الي الآن، وكذلك ما يتصل بتواصل ضرب العراق ما بين عامي ١٩٩١ و ٢٠٠٣ م في مناطق الحظر، وبخاصة في الجنوب انطلاقاً من الأراضي السعودية، وكذلك تحالفات الدولة وقراراتها في ما يتعلق بغزو أفغانستان عام ٢٠٠١م، والاحتلال الأمريكي للعراق في آذار (مارس) ٢٠٠٣م فصاعداً. وينطبق



ذلك علي قرارات القيادة السعودية المبادرة للتطبيع مع اسرائيل في مؤتمر قمة بيروت في آذار (مارس) ٢٠٠٢م. هذه القرارات المنفردة بمعزل عن الشعب أثارت ولا تزال تثير كثيراً من تحفظ الناس عموماً، وبعض الفئات خصوصاً، بما في ذلك المجموعات الدينية التي تري حدوداً للتعامل مع الأجنبي، والتي يري بعضها عدم جواز دخول تلك القوات أرض الجزيرة العربية (السعودية بلاد الحرمين) أو التصالح والتطبيع مع الكيان الصهيوني، ولذلك فإن عناصر من الشباب الجهادي في هذا السياق هم من الذين انضموا إلي عناصر القاعدة في الاعتراض المسلح علي الوجود الأمريكي في السعودية.

إضافة إلي ذلك فإن الاستبداد يقابله القمع والكبت والقهر في كافة المستويات، وبالتالي فإن متنفساتها البديلة هي العنف في غياب المتنفسات المدنية السلمية؛ وهي المشاركة وإبداء الرأي والتعبير والاعتراض السلمي. عندما يشارك الشعب من خلال من يثق بهم ممن يمثلونه، فإنه هو الذي يتحمل تلك القرارات إذا ما اتخذت، ذلك أنه لا بد من أن يناقشها ويخصها ويخضعها للمداولة والتعديل، وربما لعدم اتخاذها إذا وجد أنها تتعارض والمصلحة العليا للوطن.

ثانياً: في الممارسات الحكومية الأمنية والمسألة الحقوقية في ظل الاستبداد والسلطات الشمولية المطلقة في أي بلد - بما في ذلك السعودية - فإن هناك ميلاً واضحاً لانتهاج سياسات أمنية لمعالجة كثير من مظاهر عدم الرضا والاعتراض علي السياسات الحكومية. هذه السياسات الأمنية تميل إلي عدم وجود ضوابط وأنظمة محددة، إذ لا وجود لدستور مقيد للسلطات. وحتي عندما تتبني الدولة أنظمة ما وكذلك حتي عندما تقر الدولة - السلطة (الحكومة السعودية) بعض المواثيق الدولية - مثلاً في مجال حقوق الإنسان، ومنها حقوق المتهم - فإنها لا تلتزم بها، كذلك ليس غريباً أن تنتهكها، وذلك لغياب الرقابة والمحاسبة الدستورية القانونية الشعبية. ولذلك فإن السلطات الأمنية وخلال العقود الماضية، منذ الستينيات من القرن الماضي فصاعداً، مارست انتهاكات في مجال حقوق الإنسان وبالذات في سياق حقوق المتهم والمعتقلين، ابتداءً بطريقة الاعتقالات، ومروراً بأصناف ممارسات التعذيب والعزل الانفرادي الطويل والإهانات والمدة الطويلة للسجن والاعتقال دون محاكمات، وانتهاء بالفصل والطرد من الأعمال والوظائف الحكومية. وتلك الممارسات الأمنية، وبخاصة في السجون تم تدوينها وكتابة تقارير مفصلة عنها من قبل بعض الذين سجنوا أنفسهم، وقدمت لمسؤولي وزارة الداخلية.

إضافة إلي ذلك، فإن أولئك العناصر من الذين انخرطوا في الجهاد (الجهاد الأفغاني) وعادوا بعد خروج السوفييت، لم يجدوا معاملة تليق بهم من الدولة، بل لم تقم الدولة باستيعابهم واحتوائهم، وإنما تم إهمالهم وتهميشهم رغم أن الحكومة كانت أساساً تدفع بهم إلي أفغانستان لمقاومة السوفييت هناك. وإذا كان هذا أكثر حدوثاً في ما قبل صدور وتطبيق نظام الإجراءات الجزائية منذ أيار (مايو) ٢٠٠٣، فإنه للأسف لا يزال هناك الكثير من تلك الممارسات والانتهاكات المتواصلة، كما أن كثيراً من المعتقلين أو المتهمين لا يعرفون حقوقهم بما في ذلك حقهم في أن يكون لكل منهم محام (وكيل) للدفاع عنه أمام المحكمة وفي أثناء التحقيق معه. وكيف لهم أن يعرفوا وليس هناك ثقافة حقوقية في البلد وقد ساهمت الدولة أصلاً في غيابها. وحتي أولئك المعتقلين الذين يعرفون بعض حقوقهم، مثل حقهم في توكيل محام عنهم، فإنهم في الغالب يحرمون من هذا الحق، أو تماطل الأجهزة الأمنية في تحقيقه، أو تعطله وتعرقل فاعليته إذا ما تم.

ولعله من المفارقات أن هذه الممارسات الحكومية الأمنية المنتهكة لحقوق الإنسان تمارس بينما تعلن الدولة ممثلة بوزارة الداخلية تطبيق نظام الإجراءات الجزائية الذي يتضمن نصوصاً ومواد تمنع تلك الممارسات، وذلك في تعارض صارخ مع ما وقعت عليه المملكة من اتفاقيات دولية تمنع تلك الممارسات، وبخاصة اتفاقية مناهضة التعذيب التي وقعتها السعودية في عام ١٩٩٧م.

وإذا كانت تلك الانتهاكات تطال في الأصل أي مواطن، إلا أنها تركز علي فئات من المواطنين، وعلي أولئك الذين هم من الفئات والعناصر الجهادية بالذات، وبالتالي فإن الممارسات الأمنية التي تمثل

انتهاكات لحقوق ولكرامة الإنسان داخل السجن، أو في الإقصاء خارج السجون، جعلت من هؤلاء الأفراد أو المؤيدين لهم ينزعون علي نحو متزايد باتجاه العنف والانخراط فيه. طبعاً هذا التحليل لا يعفي أهل العنف من تحمل مسؤولية ممارساتهم، ولا يعني بأي حال من الأحوال أنه ليس لهم دور ومسؤولية في تواصل العنف.

ثالثاً: في السلطة القضائية والأحكام التعزيرية المفتوحة: في موازاة الممارسات الأمنية داخل السجون وخارجها، ودون ضوابط وقانون ومحاسبة، فإنه أيضاً وفي سياق الاستبداد والسلطة المطلقة وعدم وجود فصل السلطات وآلية الرقابة والمحاسبة، وبالذات من السلطة القضائية تجاه السلطة التنفيذية والنيابية، فإن السلطة القضائية نفسها تعاني إشكالية كبري تتصل بمسألة عدم تمكينها من ممارسة استقلالها عن السلطة التنفيذية. في سياق نظرية ولي الأمر يصبح القاضي الأصل ولي الأمر والقضاة وكلاء للقاضي الأصل (ولي الأمر - صانع القرار - الملك ومن ينوب عنه) وكذلك في سياق قاعدة أن ولي الأمر أدري بالمصلحة، طالما أنه لا يناقض مناقضة صريحة نصاً قطعياً، وكذلك بأن ولي الأمر يحسم الخلاف بين الجهات، وبخاصة بين أقوال القضاة في حال اختلافهم في مسألة ما، وفي غياب مدونة واضحة وفعلية ومحددة لأحكام وعقوبات التعزير، وبشكل عام في سياق غياب معايير دولية وإجراءات وهياكل تعزز من استقلال السلطة القضائية كمؤسسة وتضمنها بما في ذلك عدم علنية وشفافية المحاكم وجلساتها السرية رغم أن نظام الإجراءات الجزائية المطبق منذ أيار (مايو) ٢٠٠٣ فصاعداً يجيز ذلك، فإن القضاء - وبخاصة في القضايا التعزيرية، ومنها علي وجه التحديد القضايا السياسية والمتصلة بالشأن العام - قد يصدر أحكاماً قاسية في بعضها تصل إلي درجة الإعدام، أو أحكاماً قاسية طويلة الأمد، وكل ذلك تماشياً - لا قناعة - مع رضا الحاكم ورغباته وتداخلاته. من هنا فإن الأحكام القاسية أوالتعسفية التي صدرت ولا تزال تصدر بتأثيرات وتدخلات من الحاكم ضد المعتقلين، وبخاصة المنخرطين في نشاطات جهادية أو في الشأن العام قد ولدت عند أولئك العناصر - وبخاصة الفئات الأولي - شعوراً بالتهميش والإقصاء من الدولة، وعزز لديهم سلوك طريق العنف تحت أي مبرر أو مسوغ.

ثانياً - البيئة والعوامل الخارجية والعنف في السعودية

البيئة الخارجية وعواملها وصلتها بالعنف في السعودية ترتبط أساساً ببعديْ السياسات الأمريكية في المنطقة العربية، وبالعلاقات السعودية الأمريكية وما يتصل بهما من تداخل، بما في ذلك ما يمكن تسميته بالتحالف السعودي - الأمريكي أو التبعية السعودية للولايات المتحدة الأمريكية من منظور مختلف، وتداخل كل من هذين البعدين في البعد الداخلي، في العلاقة بين الدولة والمجتمع، وعلي محور بنية الدولة والسلطة فيهما.

أ - مرحلة ما قبل عام ٢٠٠١ - يمكن القول دون تفصيل إن هناك عدة عناصر ولدت تلك البيئة وتداخلها مع البيئة السعودية وعواملها، وكان لها أثر واضح في اندلاع العنف بداية ثم تطوره وتصاعده في المرحلة الثالثة من تلك العناصر، وهي ذات صلة قوية بالعلاقات السعودية - الأمريكية وبالسياسات السعودية في المنطقة:

- أزمة الخليج الثانية ١٩٩٠ - ١٩٩١ ودخول القوات الأمريكية الأراضي السعودية واستخدامها إياها في الحرب علي العراق عام ١٩٩١ م، ثم لاحقاً ما بين عامي ١٩٩١ و ٢٠٠٣ لشن الضربات الجوية وتطبيق منطقتي الحظر الجوي وبالذات في جنوب العراق، وكذلك في تطبيق الحصار القاتل علي الشعب العراقي.. وقد تم ذلك كله بموافقة أو بغض النظر من السلطات السعودية، ولكن دون موافقة شعبية، بل كان هناك عدم رضا، وبخاصة بعد انتهاء العمليات العسكرية في ١٩٩١م، واستمرار القوات والطائرات الأمريكية باستخدام القواعد العسكرية لشن الضربات الجوية ضد العراق، وتطبيق الحصار عليه. ذلك الحصار الذي دام أكثر من اثنتي عشرة سنة، وقتلت فيه مئات الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ كان محل استياء واضح من قبل الشعب، حيث إن إخوانهم وأشقاءهم في العراق يقتلون ويحاصرون دون ذنب، وفي محاولة لإخضاع العراق والمنطقة وبمساهمة عربية، بما فيها مساهمة من بلدانهم ودولهم تجاه العمليات الأمريكية في العراق.

- في الوقت نفسه استمرت السياسات الأمريكية الداعمة لإسرائيل دبلوماسياً وعسكرياً ومالياً وتقنياً. وتلك السياسات تدعم ممارسة مصادرة الحقوق الفلسطينية من خلال قصف الأراضي وقتل الفلسطينيين وهدم المنازل، وقلع الأشجار، وكلها كانت محل غضب متزايد من قبل الشعوب العربية بما في ذلك الشعب السعودي. هذا الغضب بدأ يتزايد أيضاً مع محاولة السياسات الأمريكية سواء في العراق أو في دعم إسرائيل إخضاع المنطقة عن طريق اتفاقيات التسوية سواء تعلق الأمر بأوسلو أو بدول عربية، وبمزيد من الترتيبات الاقتصادية (مشروع الشرق أوسطية وشمال أفريقيا) منذ عام ١٩٩٤ فصاعداً والذي رغم أنه توقف عام ١٩٩٦ فإنه كان ينظر إليه علي أنه امتداد لمشروع شمعون بيريس (الشرق الأوسط الجديد) الذي طرح منذ أوائل التسعينيات من القرن العشرين، وبعد ضرب وتدمير القوة العراقية، وارتكز علي أربعة أسس أو قوي، تبدأ كلها بحرف {M} وهي the Four M's :

- السوق (المنطقة العربية) Market
- المال الخليجي (العربي) Money
- العقل اليهودي Mind
- اليد العاملة البشرية العربية Men

ويلاحظ أن الذي يدير هو العقل اليهودي، وأن له الهيمنة، ومعادلتها علي النحو التالي:

+Money + Mind+Man) New Middle East = 4M's Market

ومن ثم فقد ولدت السياسات الأمريكية في المنطقة بما انطوت عليه من هيمنة وإخضاع وما يترافق معها من إذلال ومآس في العراق وفلسطين غضباً عارماً لدي الشعوب العربية ومنها الشعب في السعودية الذي بدأت عناصر فيه، بما في ذلك عناصر متصلة بالقاعدة، بالقيام بأولي عمليات العنف في عام ١٩٩٥ في الرياض، ثم بالخبر عام ١٩٩٦م ضد الوجود العسكري الأجنبي في السعودية. ثم مع توالي الأحداث منذ ١٩٩٨ تفجيرات نيروبي ودار السلام وما نتج عنها من ضرب أفغانستان والسودان في آب (أغسطس) وأيلول (سبتمبر) ١٩٩٨م، ثم الضربات الصاروخية للعراق في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٨م ولمدة ثلاثة أيام متواصلة وفي أثناء أيام رمضان الأولي، وما تلا ذلك من محاولة غزو العراق (١٩٩٩ - ٢٠٠٠م) وعلي خلفية امتلاكه أسلحة الدمار الشامل، وعودة مفتشي الأسلحة، وتفتيش حتي القصور الرئاسية في العراق، وما ارتبط بتلك الأزمة من إهانات للشعب العربي عموماً، بما في ذلك أبناء السعودية الذين نظروا إلي تلك السياسات الأمريكية في العراق ليس فقط علي أنها إهانة للعراقيين وحدهم، وإنما لهم أيضاً. من هنا بدأت مشاعر من التعاطف في السعودية تتكون وتتعاظم مع أسامة بن لادن والقاعدة وأفغانستان والعراق والمقاومة الفلسطينية بكافة فصائلها ومنها حماس والجهاد. وبعدها تأتي الانتفاضة الفلسطينية في أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠ علي خلفية التعسف الصهيوني وتدنيس القدس الشريف والمقدسات، وما يعقب ذلك من عمليات مقاومة فلسطينية، والإرهاب الإسرائيلي المتواصل ضد البشر والشجر والحجروكل مناحي الحياة.. وفي ضوء ذلك ينطلق المزيد من المشاعر المعادية للولايات المتحدة وإسرائيل في البلاد العربية، وتنطلق مظاهرات شعبية منددة بالاحتلال الإسرائيلي بما في ذلك في السعودية في كل من الجوف والظهران والقطيف، وقليل منها في

الرياض (بنات جامعة الملك سعود) وجدة.
ب ـ مرحلة ما بعد ٢٠٠١ : إذا كانت مرحلة ما قبل عام ٢٠٠١ م قد هيأت تلك الأرضية من المشاعر المعادية للسياسات الأمريكية في المنطقة، سواء تعلق الأمر بالعراق أو فلسطين، ومن خلالهما بمحاولة فرض الهيمنة الأمريكية علي المنطقة، فإن أحداث ٢٠٠١/٩/١١ م والتي هي انعكاس لتلك السياسات أو رد عليها، وما أسفرت عنه من هجمات قاتلة علي مفاصل القوة المادية الاقتصادية والمالية الأمريكية هيأت المزيد من السياسات المتشددة والعدوانية الأمريكية تجاه البلدان العربية والإسلامية علي خلفية مشاركة الأشخاص التسعة عشر في تلك الهجمات، وهم من العرب والأكثرية منهم من السعودية تحديداً. من هنا أتي ما سمي بـ الحرب الأمريكية علي الإرهاب، والمقصود بالإرهاب هو العربي الإسلامي، وبالذات تلك الجماعات الجهادية، ومن أبرزها عناصر القاعدة في كل مكان، وخصوصاً في أفغانستان. وستكون السعودية ساحة جديدة لتلك الحملة الأمريكية علي ما سمي بالإرهاب، ولكن بطريقة مباشرة وعن طريق فرض مزيد من الاستجابة الرسمية السعودية للطلبات الأمريكية في هذه السياقات. تلك الحرب الأمريكية علي الإرهاب كان ينظر إليها إسلامياً وعربياً، وتحديداً شعبياً، علي أنها حملة صليبية جديدة. أو لم يقلها الرئيس الأمريكي الابن حتي لو قيل إنها زلة لسان، أو أنه لا يقصد معانيها ودلالاتها التاريخية؟
تلك الحملة الأمريكية علي الإرهاب شملت التالي:
أ ـ غزو أفغانستان في تشرين الأول (اكتوبر) ٢٠٠١ واحتلاله وتدمير حركة وحكومة طالبان وتشتيت عناصر القاعدة واعتقال مئات من العرب الأفغان في معتقل غوانتنامو، وإن لم تستطع القضاء أوالقبض علي أبرز قياداتها ومنها أسامة بن لادن والظواهري.
ب ـ غزو واحتلال العراق في آذار (مارس) ـ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣ وتدمير الدولة العراقية ومؤسساتها ونظامها والإطاحة بها علي مرأي من القيادات العربية وشعوبها.
ج ـ أثناء ذلك كله كانت هناك خطوات لمحاصرة التحويلات المالية والتبرعات للعناصر والمنظمات الجهادية، بما في ذلك حركات المقاومة الفلسطينية (حماس والجهاد) ومصادرة الأرصدة والأموال باعتبارها إرهابية. وشملت أيضاً الجمعيات الخيرية الإسلامية والعربية التي كانت تنشط في المشاريع والإغاثة الإسلامية لعدد من البلدان الإسلامية وفي بعض دول الأقليات، واعتقال كثير من العرب والمسلمين في أمريكا وفي أوروبا. كذلك كانت هناك ضغوط في تلك المجالات في معظم البلاد العربية في قضايا التعليم ومناهجه، وتبادل المعلومات حول العناصر الناشطة في الجهاد في أفغانستان أو الشيشان أو العراق أوجنوب شرق آسيا، بمن فيهم العناصر في السعودية.
د ـ في ثنايا تلك الإجراءات والحروب العدوانية الأمريكية كانت الجرائم الصهيونية في فلسطين علي قدم وساق، وقد وصلت إلي تدمير البني التحتية للسلطة الفلسطينية وعناصرها الأمنية وحصار رئيسها عرفات وفرض تغييرات إجبارية علي هيكلة السلطة الفلسطينية. وقد تم جزء كبير منها أمام الرؤساء والملوك العرب في قمة بيروت في آذار (مارس) ٢٠٠٢ التي قدمت السعودية فيها مبادرة التطبيع مع إسرائيل : السلام مقابل الأرض، والتي تبنتها القمة لتصبح مبادرة عربية، وكل ذلك نتيجة استجابة لضغط الإدارة الأمريكية. وقد استمرت الممارسات القمعية الوحشية الصهيونية ضد الأهل والأراضي والممتلكات في فلسطين وبمباركة أمريكية منذ ذلك الوقت (٢٠٠٢) حتي الآن (٢٠٠٤) ولا تزال متواصلة، وفي ظل حكومات دول عربية خاضعة للخارج وسيدة علي الداخل. وهذا وذاك أصل البلاء والداء.
وفي سياق ذلك كله، وبما يتصل بالمجتمع في السعودية وعلاقاته في السلطة، كان المجتمع في قطاعات غير قليلة منه غاضباً علي ما تم في



أفغانستان والعراق وبخاصة استخدام القواعد والأراضي السعودية لتنفيذ بعض من أجزاء تلك الحروب والغزوات والاحتلال. كل ذلك مثل ضربة لكثير من الناس في مشاعرهم تجاه حكومتهم وخضوعها للرغبات الأمريكية، وبالتالي تولد لديهم مزيد من الشعور بفقدان الدولة لسيادتها ومشروعيتها، وبخاصة من الزاوية الدينية الإسلامية، إذ كيف تقبل دولة وحكومة تعلن عن نفسها أنها عربية مسلمة بضرب بلد إسلامي، ثم بضرب بلد عربي مجاور؟ هذا فضلاً عن منع السلطات الدينية في السعودية ممثلة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أئمة المساجد من القيام بدعاء القنوت ضد أمريكا في حربها علي كل من أفغانستان والعراق، والدعوة للأفغان والمجاهدين وكذلك للعراقيين بالنصر ضد الغزاة.
إضافة إلي ذلك فإن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة السعودية ضد الجمعيات الخيرية والتبرعات المالية وجمعها وتوزيعها وبمراقبة مستشارين أمريكيين في البنوك، وبخاصة ما يتصل بقضايا تتصل بالجهاد ومنها ما يتعلق بفلسطين، وكذلك إقفال جمعيات خيرية، والتعديل في المناهج التعليمية حسب الرغبة والمطالب والضغوط الأمريكية، والتنسيق المعلوماتي مع الولايات المتحدة الأمريكية بشأن عناصر ومواطنين قد يكون لهم صلة بالنشاطات الجهادية السابقة، وصولاً إلي مزيد من التنسيق الاستخباري في ملاحظة ومطاردة تلك العناصر واعتقالها.. وقد تتطور الأيام لتكشف وجود قوة مهام مشتركة في هذه التنسيقات(٥)، كل ذلك أشعل مزيداً من المشاعر الغاضبة لدي قطاعات من المجتمع ضد الوجود الأمريكي، وكذلك ضد تحالفات الدولة السعودية أو انصياعها للضغوط الأمريكية سواء ما تعلق الأمر منها بأفغانستان أو العراق أو فلسطين، بما في ذلك ما يتصل بـ مبادرة التطبيع أو الإجراءات التي اتخذتها منذ نهاية عام ٢٠٠١م فصاعداً في سياق الحملة الأمريكية علي الإرهاب. ولهذا ينفجر العنف أو الإرهاب بداية في الجوف (بمقتل الدكتور حمد الوردي في ٢٠٠٣/٢/١٧ م) ولكنه يأخذ البدايات الحقيقية له بتفجيرات الرياض في ١٢ أيار (مايو) ٢٠٠٣ م وما بعدها ليطال أماكن عديدة في الرياض والقصيم والمدينة وجدة ومكة والجوف والرياض، وبعض هذه المدن تتكرر فيها أحداث العنف أو الإرهاب أكثر من مرة.
ويمتد العنف إلي المراكز النفطية في كل من ينبع ثم الخبر، وقبلها بضرب دائرة الأمن السعودية، ثم يتجه إلي قتل الأفراد الأجانب أو اختطافهم وقتلهم.ويبدو أن الهدف من ضرب تلك الأماكن الحيوية واختطاف الأفراد وقتلهم هو ضرب المقومات الاقتصادية للدولة وعلاقتها بالمستثمرين والعاملين الأجانب بمن في ذلك العاملون في قطاعات ذات صلة بالأمن أو الجيش أو الحرس الوطني. والهدف هو محاولة الضغط علي الأجانب ودولهم لسحب رعاياهم، وبالتالي تحييد الصراع بين السلطة وبين أهل العنف أو الإرهاب، وإذا كان الأمر كذلك

فإن السلطات السعودية سوف تقوم أيضاً وبمساعدة أمريكية - أقلها معلوماتية - وإن كان هناك إعلان بعد ضرب دائرة الأمن، بتشكيل قوة مهام مشتركة.
وهذه السياسات الأمنية التعاونية ستزيد، وقد تولد مزيداً من التعبئة لعناصر إضافية، وبخاصة في سياق النظر إلي تلك القوة المشتركة (قوة المهام المشتركة) علي أنها تعطي لأهل العنف الإرهاب - في نظر فئات اجتماعية مفترضة عليها - مشروعية مقاومة الوجود الأمريكي في السعودية، وكذلك ضد تحالف السلطة مع الأمريكيين في هذه الحرب والحملة علي الإرهاب أو العنف. من هنا فإن هناك خوفاً من أن دائرة العنف أو العنف المضاد وبغض النظر عن مبرراته ومسوغاته ومشروعيته أو عدم مشروعيته، ستزداد يوماً بعد آخر لتصل إلي مرحلة الصراع الاجتماعي المفتوح (الحرب الأهلية).
هذا الاحتمال الأخير يتوقف علي أمور منها مدي الدعم المجتمعي للعنف أو الإرهاب وأهله، وكذلك علي مسألة الحلول التي يمكن أن تتبناها الدولة لمواجهة العنف علي الإرهاب وعناصره، وهل ستكون حلولاً أمنية فقط أم تكون هناك حلول سلمية مدنية إصلاحية. وقبل الوصول إلي مسألة العلاقة بين العنف والإصلاح نود فقط الإشارة سريعاً إلي مسألة الدعم أو التأييد الشعبي للعنف وأهله وعناصره. فقبل تفجيرات أيار (مايو) ٢٠٠٣ وفي ما يخص القاعدة، وبخاصة أثناء حرب وغزو أفغانستان، وأيضاً في سياق الحرب والغزو الأمريكي للعراق فإن هناك تأييداً ملحوظاً من قبل فئات وقطاعات غير قليلة من المجتمع في السعودية للقاعدة وزعيمها أسامة بن لادن.
وهذا التأييد أو الدعم لا يعنيان بالضرورة أن الناس المتعاطفين يقبلون بكل معتقدات وتوجهات القاعدة ورموزها، ولكن التأييد والتعاطف يندفع تحت عنوان أن تلك الحركة وقيادتها وعناصرها وخلاياها تقوم بأعمال فيها مقاومة للسياسة الأمريكية والصهيونية في المنطقة العربية والإسلامية. ولذلك ليس غريباً أن يكون هناك أكثر من ٧٠ بالمئة من الكويتيين يتعاطفون مع القاعدة في سياستها المناهضة للولايات المتحدة الأمريكية، فكيف إذاً بالسعوديين، والذين تشير بعض التقارير الاستخبارية إلي أن أكثر من ٨٠ بالمئة منهم يؤيدون القاعدة في حربها ومقاومتها للسياسات الأمريكية في المنطقة. ولذلك فإننا نتذكر، وهذا ما يقع في تلك النسبة، أنه أثناء الحرب والغزو الأمريكي لأفغانستان، وكذلك ما بين عامي ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ كانت صور بن لادن تبث بشكل مكثف بين الجوالات في السعودية. طبعاً مع بداية انفجارات الرياض في ١٢ أيار (مايو) ٢٠٠٣ فصاعداً، وبخاصة مع تضاعف التفجيرات في مجمع المحيا بالرياض ثم في دائرة الأمن، ثم في اختطاف وقتل بعض الغربيين، فإنه من المؤكد أن هناك انخفاضاً في نسبة التأييد لتلك العناصر الفاعلة في العنف أو الإرهاب، وهناك أيضاً عدم اتفاق أو موافقة أعداد متزايدة من الشعب بقبول بعض منها علي الأقل.
ومع ذلك تبقي البيئة الداخلية كما أشرنا إليها وتقاطعها مع البيئة الخارجية وبالذات في سياق الاستبداد الداخلي وممارساته الداخلية، وكذلك في سياق تقاطعاته مع الخارج الأمريكي حاسمة في توليد العنف. وذلك كله يعني أن تلك البيئة واختلالاتها هي التي تعمل علي تفريخ عناصر إضافية لجماعة وعناصر العنف، بل ان الاعتقالات المتزايدة منذ عام ٢٠٠١ م فصاعداً، وبخاصة عامي ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤ م، والتي تجاوزت الآلاف سواء في سياق الاعتقال، أو التحفظ المؤقت - وبما يتضمنه من تجاوزات أمنية بما في ذلك استمرار الانتهاكات لحقوق المتهم - تعني أن هناك نسبة من المجتمع وفئاته تشكل مخزوناً فيه قدر من الالتزام بالانخراط في تلك العمليات (العنف أو الإرهاب) وليس فقط التعاطف، وذلك المخزون يمكن أن يقدر تقريباً ما بين ١٠ آلاف إلي ٤٠ ألفاً ممن لديهم القابلية للانخراط بالعنف وبتلك الجماعات.

ثالثا - في العنف والاصلاح الدستوري

المحور الأخير في هذه الورقة يتناول العلاقة بين العنف والإصلاح، وهل أهل العنف أو الإرهاب يطالبون بالاصلاح، وهل لديهم أصلاً مشروع اصلاحي؟ وهل المخرج من العنف هو باتباع السياسات الأمنية الصارمة، أم ماذا؟
توصلنا في مناقشة وتحليل عوامل العنف إلي ان الاستبداد وهو أصل الداء والبلاء، وأن منتجاته وفروعه في الاختلالات في السياسات والممارسات الحكومية، وفي كافة المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بدرجة أكبر، وكذلك في تحالفاته وتقاطعاته مع البيئة الخارجية (الولايات المتحدة الأمريكية) وتجاهل استشارة الشعب وموافقته، وفي غياب آليات المحاسبة الدستورية.
وبناء علي ذلك يمكن اختصار متغيرات العنف عن طريق المعادلة التالية:
الاستبداد (والممارسات وكذلك في التحالفات الخارجية) = الجهل والتجهيل + الفقر والإفقار + القمع والكبت والإقصاء والتهميش = العنف. وهذه المعادلة لا تنفي ولا تلغي دور أهل العنف في تلك الدائرة من العنف والعنف المضاد. ولذلك من مخاطر تواصل العنف والعنف المضاد أن يتحول إلي دائرة عبثية تهلك الحرث والنسل الأخضر واليابس، وبخاصة في احتمالات تحولها إلي حرب أو صراع اجتماعي مفتوح، وهذا أمر وارد في ضوء:
أولاً، استمرار خلل السياسات الرسمية نفسه.
ثانياً، في احتمال فشل الإدارة الأمريكية في العراق، وكذلك عدم ولوج الإصلاح في السعودية.
طبعاً إن أهل العنف لا يطالبون أصلاً بالإصلاح، وليس لديهم مشروع إصلاحي، ولذلك فإن هناك مسؤولين وكتاباً وباحثين يستغربون الربط ما بين الإصلاح و العنف. المشكلة في هذا الفهم هي أنهم يعتقدون أن هناك عدداً من أهل العنف، فإذا ما تم قتلهم أو اعتقالهم فسوف ينتهي الأمر. وهذا يعني أن أولئك لا ينظرون إلي البيئة المولدة والداعمة للعنف أو الإرهاب وأهله. البيئة المولدة - كما قلنا - هي تلك البيئة السعودية في طبيعتها وانغلاقها وبصفة أساسية في بيئة الدولة - السلطة، في الاستبداد والسياسات الحكومية والممارسات المتولدة عنه، والتي لا تزال كما هي لم تتغير، منذ ما بعد عام ٢٠٠١ وحتي أوائل عام ٢٠٠٤ حيث تتواصل أسس ومقومات وعناصر تلك السياسات الحكومية وبنيتها أصلاً، ألا وهي السلطة المطلقة والاستبداد.
إن الاتجاهات الرسمية والسياسات الحكومية لا تزال تري أن بإمكانها معالجة العنف أو الإرهاب من خلال سياسة أمنية صارمة تتم فيها ملاحقة ومطاردة وقتل واعتقال العناصرالذين يبدو عددهم للجهات الرسمية عدداً محدداً، وفي سياق تعاون أمني ومعلوماتي، وحتي في سياق تشكيل قوة مهام مشتركة سعودية - أمريكية أعلنت مؤخراً.إضافة إلي ذلك، فقد صدرت مبادرة جديدة تتضمن إصدار عفو عن أولئك من العناصر المشاركة أو المرتبطة بأهل العنف، والذين لم يتورطوا في أعمال قتل، ولم يقبض عليهم حتي الآن، إذا سلموا أنفسهم خلال شهر من تاريخ صدور القرار. وجاء في خطاب الأمير عبد الله الذي ألقاه نيابة عن الملك فهد بهذا الشأن: لذلك فإننا نعلن وللمرة الأخيرة بأننا نفتح باب العفو والرجوع للحق وتحكيم الشرع الحنيف لكل من خرج عن طريق الحق وارتكب جرماً باسم الدين وما هو إلا الفساد في الأرض، ولكل من ينتمي إلي تلك الفئة التي ظلمت نفسها ممن لم يقبض عليهم في عمليات الإرهاب فرصة الرجوع إلي الله ومراجعة أنفسهم، فمن أقر بذلك وقام بتسليم نفسه طائعاً مختاراً، في فترة أقصاها شهر من تاريخ هذا الخطاب فإنه آمن بأمان الله علي نفسه، وسيعامل وفق شرع الله في ما يتعلق بحقوق الغير(٦).
ولنا ملاحظات علي ماتقدم هي:

١ ـ بالنسبة الي السياسات الأمنية الصارمة، فإننا لا نعتقد أنها هي الحل، بل لن تكون الحل، ذلك أن العنف يولد العنف. إضافة إلي ذلك فهناك اعتقاد خاطئ لدي بعض المسؤولين وغيرهم أن أولئك العناصر المنخرطة في أعمال العنف أو الإرهاب محدودة العدد ويمكن استئصالها بإلقاء القبض عليهم أو قتلهم أو بالاعتقالات المكثفة. وهذه فكرة خاطئة، ذلك أن هؤلاء أصلاً إنما تقدمهم البيئة، والبيئة لم تتغير بعد. ولذلك كما أشرنا سابقاً، فإن تلك السياسات الأمنية الصارمة ستولد أو تدفع بذلك المخزون من العناصر التي لديها القابلية للانخراط فعلاً. فوق هذا وذاك فإن مزيداً من التعاون الأمني السعودي ـ الأمريكي سواء في سياق تبادل المعلومات أو في أطر جديدة بالإعلان عن إنشاء قوة مهام مشتركة لمحاربة الإرهاب في السعودية يعني مزيداً من صب الزيت علي النار، وهذا قد يكون كارثياً في ضوء خروج أمريكا من العراق مهزومة من المقاومة العراقية والتي تضم فيها عناصر عربية ولربما سعودية. كل ذلك قد يوفر مقومات ومسوغات إضافية لصراع اجتماعي مفتوح محتمل في السعودية.

٢ ـ بالنسبة إلي العفو، فرغم أنه خطوة جيدة إلا أن فيه قدراً من الغموض وعدم الوضوح، ذلك أن العفو مشروط، وقد تترتب عليه محاكمات وأحكام طويلة المدي. والأفضل لو أصدر عفواً صريحاً بإنهاء القضايا وتعليقها، وأن تحدد فترة حبس محددة معلنة. إضافة إلي ذلك، فإن تلك الخطوة علي كونها خطوة جيدة، لا يمكن لها أن تفي بالغرض دونما إصلاح، وإصلاح حقيقي.

إن المخرج الصحيح هو ولوج الإصلاح الدستوري الذي يدخل المواطن إلي دائرة السلطة، فيحد من الاستبداد، ويقضي علي الاختلالات في كافة المجالات، ويؤكد الحقوق والحريات العامة ويصونها من خلال فصل السلطات، وسلطة نيابية منتخبة (مجلس شوري ملزم) لها سلطات رقابية ومحاسبية، يتيح للمواطن الحق في المشاركة في القرارات وصنع السياسات. إضافة إلي ضمان وجود سلطة قضائية مستقلة بتمكينها من خلال إجراءات وهياكل ومعايير لتستطيع المساهمة في توفير العدالة والمساواة والكرامة وحفظ الحقوق والحريات للأفراد،علي أن تكون السلطة القضائية مستقلة من خلال تلك المعايير والإجراءات والهياكل وفي سياق فصل السلطات ذات الصلاحيات الرقابية ضمن آلية وهياكل الدستور، والذي لا بد لكي تصبح له روح أن يصوت عليه شعبياً.

هذا الإصلاح الدستوري سيولد بيئة جديدة يمكن من خلالها امتصاص تلك الاختلالات في كافة المجالات وإعادة الاعتبار للمواطن من خلال إقامة العدل وضمان الحقوق والحريات والكرامة والحق في المشاركة والتعبير. هذه البيئة الدستورية والتي تعني حكومة دستورية ذات سلطات غير مطلقة، وفي سياق محاسبة ومراقبة ومشاركة شعبية علي مستوي مؤسسات السلطة،وبخاصة النيابية (مجلس الشوري المنتخب الملزم) وعلي مستوي المشاركة والمساهمة في تشكيل جمعيات المجتمع الأهلي المدني في كافة المجالات ليتاح للمواطن الانخراط في تلك الجمعيات والاتحادات والإفصاح عن رغباته وآرائه. فإذا وصلنا إلي سلطة مقيدة، حكومة دستورية، بإصلاح دستوري نستطيع أن نلغي عوامل العنف ومكوناته ودعائمه وحوافزه في كافة المجالات، بما في ذلك تصحيح العلاقة بين الدولة والخارج علي أسس تنطلق من مصالح الشعب وحقوقه وكرامته، عبر مشاركة المواطن في السياسات، بما فيها السياسة الخارجية للدولة، وبالتالي إنهاء سلبيات الممارسات الحكومية داخلياً وسلبيات تحالفها خارجياً باعتبارها خارجياً (أي السلطة المقيدة) ضوابط شعبية (إرادة ومشاركة شعبية ورقابة علي تلك السياسات).

عندها يمكن أن تتولد أولاً شرعية جديدة وصلبة للدولة والأسرة تقوم علي تعاقد بين المجتمع والسلطة الأسرة، يضمن حقوق المجتمع وحرياته، ويوفر الفرص للأسرة لممارسة الحكم في السلطة بالمشاركة أو الشراكة الدستورية مع الشعب أو من يمثله. وثانياً، في تلك البيئة نستطيع أن نلغي الاختلالات، وأن نجفف بطريقة سليمة هادئة مصادر العنف وأسبابه. وبالتالي فإنه مع الوقت ومع تحقق تلك الإصلاحات علي الأرض فإننا سوف نجد أن تلك العناصر المنخرطة في العنف قد أخذت تتقلص بشكل كبير، وبدأت تتلاشي فعلياً، ذلك أن الدعم والمخزون القابل للعطاء ينتهي.

وفي سياق الإصلاحات الدستورية لا يمنع من اتباع السياسات الأمنية الموازية، ولكن بطريقة تقلل من الإقصاء والتهميش المباشر، بما في ذلك حقوق المتهم، وفي الوقت نفسه تركز علي الحلول الإصلاحية السلمية الدستورية لتوفير الأمن من خلال إدخال المواطن في صلب العملية السياسية لكي يشعر أنه بالفعل جزء من السلطة، وأن السلطة جزء منه. عندها فقط يمكن لنا أن نخرج من دائرة العنف. أما أية طريقة غير ذلك فإنها قد تطيل العنف وتزيده وتفجره إلي صراع اجتماعي مفتوح (حرب أهلية)، والتي يخشي في حالة اندلاعها من أن تولد آثاراً أكبر في الدولة والمجتمع، كما أن الدول الكبري، ومنها الولايات المتحدة، قد ترفع يدها عن الوضع حتي يثبت. وعندها قد تقرر التدخل في الوقت المناسب.

إن التأخر في دخول عملية الإصلاح الدستوري في الوقت الحاضر ومع احتمال اندلاع صراع اجتماعي مفتوح سيعقد مهمة الحكومة مستقبلاً ويجعلها أكثر صعوبة، إذ سوف يعتبر عرضها لو تم مستقبلاً أمراً غير مقبول من قوي الاعتراض والعنف إذا ما أصبح لديها اليد الطولي في الساحة.

هوامش

(١) عن نظريات العنف وتفسيرها، انظر: متروك الفالح، نظريات العنف والثورة: دراسة تنوعية مقارنة، القاهرة، مركز البحوث ـ كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩١. وعن تفصيلات شاملة عن دراسات ونظريات وأبحاث العنف، هناك الدراسة الشاملة التالية:

Ekkart Zimmerman, Political Violence, Crisis and Revolutions, Theories and Research, (Cambridge, Massachusetts, 1983).

(٢) لم يعد المسؤولون السعوديون يتحرجون من الإشارة الى هذا الدور السعودي في مقابلاتهم، وآخرها ما ورد على لسان الأمير تركي الفيصل، السفير السعودي الحالي في بريطانيا، ورئيس الإستخبارات السعودية السابق، والمسؤول عن الملف الأفغاني في تلك الفترة. وردت اقوال واعترافات تركي الفيصل في برنامج وثائقي عن السعودية، بثته شبكة التلفزة البريطانية BBC يوم السبت ٢٠٠٤/٨/٢٨، الساعة ١٠-١١ صباحاً بتوقيت الرياض.

(٣) يربط وزير الداخلية الأمير نايف دائماً ذلك بتلك العناصر الإخوانية التي أتت الى المملكة منذ الستينات من القرن الماضي فصاعداً.

(٤) عن التعليم والسخط الإجتماعي والحرمان النسبي وعلاقتها بالعنف، انظر:

Ted Gurr, Why Men Rebel (U.S.A 1970)
I. K Feirabend & Ted Gurr (eds.), Anger, Violence and Politics (U.S.A 1972).

(٥) عن قوة المهام المشتركة بين السعودية وأمريكا في مجال مكافحة الإرهاب أو العنف، انظر الى البيان الذي وزعته السفارة السعودية في واشنطن (والذي أشار الى اعتقال ٦٠٠ مشتبه)، الشرق الأوسط ٢٠٠٤/٦/٤، ص٤

(٦) في ٢٠٠٤/٦/٢٣ أعلن العفو في تفصيلات الخبر، انظر الكلمة التي ألقاها ولي العهد السعودي، التي تمهل ما أسماه الفلول الضالة شهراً للرجوع الى الحق وتحكيم الشرع؛ الشرق الأوسط، ٢٠٠٤/٦/٢٤، ص ٤. هذا وقد مرت المدة المحددة للعفو ولم يستسلم سوى عدد لا يتجاوز الستة، منهم إثنان أحدهما مقعد والآخر تاجر سلاح، في حين لم يستسلم أحد من الأساسيين الذين شملتهم قائمة المطلوبين.

كتاب جديدة للشيخ اليماني (الإسلام والمرأة)

الإسلام ركز على دين المرأة معياراً لتقويمها

الأحكام الإسلامية الخاصة بالمرأة ثورة لصالحها ماضياً وحاضراً

اشتدت الهجمة على الإسلام، واتخذت صوراً عديدة، ووسائل مختلفة، وفق مخططات معلنة أو خفية ويتبوأ موضوع المرأة في الإسلام أهمية خاصة عند المهاجمين، بحجة أن الشريعة الإسلامية قد حطت من قدرها، وجعلتها شيئاً من المتاع، وأشبه ما تكون بالإماء والإسلام من ذلك براء. فهو الدين الذي كرّمها، ورفع شأنها، وفتح الأبواب أمامها. ولئن تصدّت التقاليد، عند بعض الشعوب التي دخلت في الإسلام وأيّدتها بعض التقاليد البدوية، كي تكون عائقاً أمام تقدمها والاستفادة مما شرعه الله لها، فمن الجور أن ننسب ذلك للإسلام. ومهما كانت تلك الآراء منسوبة إلى فقهاء فهي إجتهاد شخصي، أو مستندة إلى أحاديث أسيء تفسيرها، أو ضُعّفت أسانيدها.

تصم آذاننا أصوات صراخ وجدل بين أطراف يتشنج بعضها يريد أن ينزع من المرأة إنسانيتها، أو يبقيها وسيلة للخدمة والإنجاب، بينما يهاجم أعداء الإسلام دين الإسلام مستندين إلى تصرفات بعض المسلمين أو آراء ذلك النفر الذي قلل من شأن المرأة معتبراً أن تلك الآراء والتصرفات هي الصورة الحقيقية لدين الإسلام. وهناك طائفة ثالثة تريد أن تجعل من المرأة المسلمة نسخة طبق الأصل من المرأة الغربية تتخلى عن جميع التقاليد المنبثقة من قيم الإسلام.

وفي هذه الأجواء المؤلمة والأصوات المزعجة وجدت نفسي مضطراً إلى المشاركة بما أراه حقاً مستنداً، في مشاركتي، إلى آراء الفقهاء والعلماء المشهود لهم بالحكمة وصواب الفقه، محاولاً رسم صورة حقيقة ما شرّعه الإسلام للمرأة المسلمة قبل العادات القبلية والأعراف الشعوبية، مدفوعة بمشاعر العظمة والفوقية عند فحول الرجال.

الحمد لله الذي خلقنا من ذكر وأنثى (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)(١)، وجعل للرجال المسلمين وللنساء المسلمات ولاية على بعضهم بعضا (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر).(٢).

والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي بُعث في قوم كانت المرأة في نظر بعضهم رمزاً للذل والهوان. وتستحق أن تدس في التراب حيّةً حتى يزول عن أبيها الكظيم ما قد يلقاه بسببها من مستقبل أليم، فرفع عليه الصلاة والسلام برسالته من شأن المرأة وجعلها مساوية للرجل، إلاّ إذا اقتضت الظروف المالية غير ذلك، فهي شقيقة الرجل وليست دونه (النساء شقائق الرجال) (٣).

إن حضارة الإسلام تختلف عن حضارة الغرب، وإن نظرة الإسلام إلى المرأة ترتكز على معايير وأسس ليست بالضرورة ما ترعاه وتتبناه الحضارة الغربية وتسعى لتطبيقه.

فالإسلام يركز على (دين) المرأة معياراً أساساً لتقويمها، والدين يشمل الخلق الكريم، والعلم الواسع مع مخافة الله وإطاعة أوامره ونواهيه. فالمرأة تنكح لدينها ومالها وجمالها وحسبها. ورسول الله يأمر أصحابه وأتباعه بأن يظفروا بذات الدين، وجمال المرأة في الإسلام غير مُعدّ للعرض والبيع، وليس من الوسائل العامة للترويح عن نفوس المشاهدين، فهو ثروة لصاحبته مخصصة لمن تختاره من الرجال زوجاً لها. ولا تُظهر من تلك الثروة للعامة إلاّ ذلك الجزء الذي لا يثير الشهوات أو الرغبات.

والحضارة الغربية، على الرغم مما تحتويه من مبادىء وعلم وتقدم تقني فإنها بصفة عامة تركز في نظرتها للمرأة على أمور كثيرة يأتي في مقدمتها جمال المرأة وجسدها، فيتبارى مصممو الأزياء لإظهار مفاتنها كما تتبارى وسائل الإعلام المرئية في استخدام ذلك الجمال وتلك الفتنة وسيلة للترويج لها واستقطاب اهتمام المشاهدين.

وتجارة الجنس، وإن كانت حتى الآن في معظم بلاد الغرب خارج حدود القانون، إلاّ أنها من الأمور الواقعية التي يُغض الطرف عنها، إلا إذا استفحل أمرها.

والمرأة قيمتها في دينها وخلقها وعلمها وإنسانيتها، وبعض المسلمين الذين يضعون حدوداً لإنسانيتها وقيوداً على تعليمها ونشاطها يخطئون ويخالفون روح الإسلام ونصوصه. وأولئك الذين ينتمون للإسلام ويريدون للمرأة المسلمة أن تكون نسخة من الفتاة الغربية، يُحْدثون في مجتمعهم الإسلامي شرخاً يؤدي إلى تفاقم حدة المتزمتين فيزدادون تشدداً وتنطعاً ويدفعون في الوقت نفسه المرأة المسلمة إلى هاوية الحضارة المادية فيلتهمها طوفان العولمة فيحتقرها أهلها دون أن تسعدها حضارة غيرها.

الإسلام جاء بأحكام خاصة بالمرأة تعد ثورة حقيقية على المفاهيم التي كانت سائدة في جزيرة العرب، وتحولاً جذرياً عن الأفكار الفلسفية والدينية التي سادت قبله أو في بداية عصره. فالشريعة الهندية البرهمية اعتبرت المرأة ناقصة الأهلية، ليس لها الحق في القيام بأي عمل وفق مشيئتها، إذ تنتقل من تبعيتها لأبيها لتبعية زوجها، فإذا مات انتقلت التبعية لأبنائه أو لعشيرته الأقربين(٤).

إذا انتقلنا إلى اليونان، وجدنا المرأة محرومة من التعليم تابعة للرجل. وعندما حاول أفلاطون أن يطبق في مدينته (الجمهورية) مبدأ مساواة المرأة بالرجل في مجال التعليم والثقافة فشل في المحاولة لهجوم المفكّرين والفلاسفة على ذلك المبدأ. وقال أرسطو: إن المرأة للرجل كالعبد للسيد، والعامل للعالم، والبربري لليوناني. كما قال يوستن خطيب اليونان المشهور: إنّا نتخذ الزوجات فقط ليلدن لنا الأبناء الشرعيين(٥).

أما موقف الديانة اليهودية من المرأة فأقل ما يوصف به هو أنه موقف عدائي، فالتلمود مثلاً ينصح عامة اليهود بأنه خير للإنسان أن يمشي وراء أسد من أن يمشي وراء امرأة. وقد جاء في الكتاب المقدس أن المفروض على المرأة أن تكون تحت سلطان الرجل وهو يتسلط عليها(٦).

الديانة المسيحية، عند بعض أتباعها، لا تختلف عن اليهودية فالمرأة شر لا بد منه، وإغواء طبيعي، وكارثة لازمة، وخطر منزلي، وفتنة مهلكة، وشر عليه طلاء، ومن أقوال الراهب الإيطالي توماس الأكويني: (المرأة خاضعة للرجل بضعف طبيعتها الجسمية والفعلية معاً والرجل مبدأ المرأة ومنتهاها. وقد فرض الله الخضوع على المرأة)(٧).

القانون الروماني وضع للفرد حقوقاً تجاه الدولة تمثل تطوراً قانونياً هاماً ومع ذلك فإن الوضع بالنسبة للمرأة بقي لمدة طويلة يشبه ما كان سائداً في اليونان. إذ كان للرجل الوصاية الكاملة عليها، فالأنوثة كالجنون من أسباب الحجر على الشخص.

في الإمبراطورية السفلى تحسن الوضع قليلاً فكان للمرأة حق اختيار الوصي عليها، ولم تحصل المرأة على أهليتها الماليّة إلا في عهد الإمبراطور (تيودرز هوتوريوس) إذ أنهى الوصاية المالية عليها مع ضرورة الحصول على موافقة الزوج(٨).

فالأحكام الإسلامية الخاصة بالمرأة تعتبر - كما أسلفت - ثورة حقيقية إذا قورنت بما كان سائداً في المجتمع الذي أضاءت فيه الرسالة المحمدية، أو ما كان سائداً في العصور الغابرة والحضارات المعاصرة لها. حيث أعطى الإسلام للمرأة أهليتها الماليّة كاملة غير منقوصة. فكان للإسلام الريادة والسبق في هذا المجال كأول نظام يفعل ذلك في التاريخ. وإن كنا نلاحظ الآن اتجاهاً لوضع قيود على تلك الأهلية في بعض المجتمعات الإسلامية.

اختلاف الآراء حول المرأة قديم العهد، قدم الإسلام نفسه. وقد أسهم العرف والبيئة في اختلاف تصرفات المسلمين وآراء فقهائهم. ومن أوضح الأمثلة على تأثير البيئة ما كان سائداً في مجتمع مكة قبل الهجرة، وما كان سائداً آنذاك في مجتمع المدينة. وخير وصف لذلك ما جاء على لسان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رض) إذ قال: (كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذ هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار. فصحت على امرأتي فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني. فقالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) ليراجعنه، وإن إحداهنّ تهجره اليوم حتى الليل. فأفزعتني)(٩). ولقد انصاع ابن الخطاب رضي الله عنه للتوجيه النبوي بعدم منع نسائه من الخروج لصلاة العشاء والفجر رغم غيرته رضي الله عنه. وهو نفسه الذي أراد في خلافته أن يحدّد المهور (فراجعته امرأة برأي مخالف). فقبل اعتراضها وانصاع لرأيها. ولقد بدأ تأثير البيئة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، إذ رفض أحد أبناء عمر رضي الله عنه السماح للنساء بالذهاب لصلاة العشاء والفجر وأقسم ليمنعهن حتى لا يتخذنه ذريعة للفساد رغم التوجيه النبوي. وقد أورد الإمام النووي ذلك في شرحه لـ (صحيح مسلم)، وفي ذلك عودة لتقاليد بيئة مكة المكرمة.

وبالرغم من ممارسة المرأة في عصر النبوة والخلافة الراشدة لحقوق لم تكن من قبل معروفة، فإن العصور التي تلتها قد شهدت نكسات متتالية وآراء مختلفة مردها اختلاف البيئة والظروف الاجتماعية.

كان مجتمع المدينة مجتمعاً تشارك فيه المرأة الرجل جنباً إلى جنب في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية. واستمر الأمر على ذلك المنوال في بداية العصر الأموي. إذ احتفظ العرب بتقاليدهم. فكانت المرأة تظهر في المجتمع سافرة الوجه، حتى برز لدى بعض خلفاء بني أمية اتجاه لفرض الحجاب على نسائهم (ثم بدأ بعض أشراف الأمويين في تقليد الخلفاء. ولم تكن دمشق مدينة عربية بل كانت من المدن القديمة التي خضعت لحكم الإغريق الذين كانوا يفرضون النقاب على نسائهم، ولذلك انفردت دمشق قبل الإسلام دون بقية المدن الإسلامية بالنقاب والفصل بين الجنسين)(١٠).

وجاءت الدولة العباسية في بغداد لينحو خلفاؤها العباسيون منحى الأمويين، ثم قام ابن المقفع بالدعوة إلى فرض نقاب المرأة لعامة النساء اللاتي لم يكنّ ملزمات بذلك، وساد العرف الجديد الذي يمجد المرأة التي تختفي عن الأنظار(١١).

بعد أن أبرزتُ تطور العرف وأثره على المرأة يجدر بي في هذا الصدد أن أفرّق بين الشريعة الإسلامية بنصوصها القطعية ومقاصد أحكامها - وهي ملزمة دون شك - وبين الفقه الإسلامي، وهو إنجاز



إنساني إسلامي نفخر به ونعتز وللمؤهلين من أبنائه في العصور التالية فسحة من الاجتهاد حسب الزمان والمكان.

الفقه الإسلامي يتغيّر باختلاف الزمان وتغير البيئة، وخير مثال لذلك آراء الإمام الشافعي الفقهية عندما كان في بغداد مقارنةً بآرائه عندما ذهب وعاش بمصر فالفقيه هو الفقيه. والنصوص هي النصوص، وما تغير كان هو المكان والبيئة، فكانت آراؤه المختلفة رضي الله عنه تسمى للتمييز بينهما. على القديم وعلى الجديد، ومن قواعد الفقه أنه (لا ينكر تغيّر الأحكام بتغيّر الأزمان).

ونحن في بداية قرن ميلادي جديد تغيرت فيه ظروف الحياة. وتطورت وسائل التعليم وانتشرت وذللت وسائل الاتصالات وانتقال المعلومات، فأصبحت في متناول اليد دون قيود أو حدود، وواكب هذه التغيرات أن أثبتت المرأة جدارتها في ميادين العلم والتجارة والاقتصاد، ونافست الرجل في أمور كانت حكراً له ووقفاً عليه فلم تمنعها أنوثتها من أن تصبح جندية باسلة في ميادين القتال، أو مخترعة بارعة داخل المعامل، أو باحثة متميزة في مجال البحث العلمي.

في هذه الظروف المتغيرة، والتطورات السريعة المتلاحقة ترتفع أصوات بعض علمائنا تدعو إلى بقاء المرأة في بيتها، لا تشارك الرجال في بيئتها، ولا تباشر من الأعمال إلاّ ما يعتقدون أنه ملائم لطبيعتها متوافق مع شريعتنا ويدفعهم خوفهم من فساد الغرب وانهيار الفضيلة فيه إلى تضييق دائرة نشاطها حتى تكاد تنعدم. ويتوسعون فيما يعتقدون أنه أحكام شريعتنا حتى يخرجوا عن دائرتها وروحها ونصوصها ونحن لا نشك في صدق نواياهم، ونعرف قوة العقل الباطن الذي يحركهم لحماية نسائنا، وقوة التقاليد التي نبتوا في تربتها وترعرعوا في كنفها. ولكن الأمر أخطر بكثير من أن يعالج بطريقتهم هذه مهما كانت مبرراتها وصدق نواياها فإن ما يدعون إليه ويروجون له أضيق كثيراً من الساحة الرحبة التي كانت المرأة المسلمة تعيش فيها في خلال العصر النبوي.

رحم الله الإمام ابن قيّم الجوزية الذي عمّق الله فهمه ومنحه فقهاً

في الدين حين قال: (إن على الفقيه أن يزاوج بين الواجب والواقع (١٢)، ولو كان بيننا اليوم لعرف الواقع الذي نعيشه، ولتصرف عكس تصرفات بعض علمائنا، فزاوج بين واجب قابل للتوسيع وواقع يستحيل تغييره، فهو آت كالطوفان، ولابد أن نبني سفينة تنقذنا من الغرق فيه، بالرجوع إلى روح الشريعة، والثابت من نصوصها فالانعزال خطير، ولن يكون هناك جبل يعصمنا من الماء، وإن لم نفعل فسوف نكون كالنعام حين تخشى الصياد فتدفن رؤوسها في الرمال.

عندما أكتب عن مساواة المرأة بالرجل في ميزان الإسلام أهدف إلى توصيف حقيقة تلك المساواة وإيضاح الفوارق في الأحكام بين المرأة والرجل، متى وجدت، وهي فوارق تعود إلى طبيعة الأنثى مقارنة بطبيعة الرجل، ولا تزيد من الرجل على حساب المرأة، ولا تنقص من المرأة لحساب الرجل، ولا تخل بالمساواة الكاملة.

الأنوثة من صفات المرأة التي تحترم لأجلها، ولا تنتقص من قدرها، والرجولة من صفات الرجل التي يُمدح بها، ولا تكون من وسائل تفضيله على المرأة، فهي تلقي عليه أعباءً دون أن ترفع في ذاتها له شأناً. والمرأة المسترجلة معابة، والرجل المخنث محتقر، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء(١٣). وقضية المساواة، إذن، يجب أن ينظر إليها على ضوء هذه المفاهيم وعلى ضوء التشريعات المالية الإسلامية التي ألقت على الرجل أعباءً أعفت المرأة منها.

المناداة في الغرب بفكرة الجنس الموحد، التي ترفض أن يكون تقسيم العمل مبنياً على اختلاف الجنسين، مناداة لا تستقيم مع روح الشريعة الإسلامية التي وإن أباحت للمرأة ممارسة العمل في حقوله الكثيرة إلا أنها تركز على الوظيفة الأساسية لها كزوجة وأم، وهي وظيفة تمنحها جل الاحترام في المجتمع المسلم.

وفكرة الجنس الموحَّد في الغرب أثبتت نتائجها أنها أدت إلى تعصب للذكورة، فأصبح دور الرجل في مجالات العمل محلاً للتقدير والاحترام أكثر بكثير مما حصلت عليه المرأة من تقدير في تلك المجالات.

الإسلام لا يغفل الفوارق البيولوجية بين الاثنين ولا يضخم من آثارها فيخرجها عن نطاقها، فأمومة المرأة ودورها زوجة وحسن قيامها بتربية أبنائها يضعها في أعلى المراتب، ويكسبها الإجلال والاحترام، في الوقت الذي لا تمنعها تلك الفوارق البيولوجية من ممارسة ما تحسن عمله في الحقول الأخرى.

عندما أشير إلى أهمية الظروف الاجتماعية في تفسير النصوص الشرعية يبرز موضوع الولاية العامة للمرأة كواحد من الموضوعات التي تتأثر بتغيّر الظروف والبيئة والمكان، وتناوله يجب ألاّ يغفل الواقع، إذا كانت النصوص لا تصطدم به ولا تعارضه، ومن باب أولى إذا كانت تمهّد له وتناصره.

موضوع الأهلية السياسية للمرأة المسلمة تعددت الآراء حوله واختلفت، وتضاربت، لتعكس بذلك العرف السائد، والتقاليد المتبعة، قبلية كانت أو زهواً بالرجولة، أو تعكس فهماً حقيقياً لروح الشريعة ومقاصد النصوص وتطور الظروف والتزاوج مع الواقع.

لا أعرف في بلادنا الإسلامية موضوعاً شائكاً تشتد حوله الخصومات مثل موضوع المرأة بصفة عامة وموضوع ولايتها العامة بصفة خاصة، وهذا الأخير تشتد قوته وتزداد حدته إذا اتجه في سيره لمصلحة ولاية المرأة العامة، حتى إن مجتمعاً مثل مجتمع الكويت يأخذ بقدر واضح من الديمقراطية لا تزال بعض عناصره الإسلامية - أو القبلية - تقاوم بشدة أن يكون للمرأة الكويتية حق الترشيح لمجلس الأمة أو حتى انتخاب أعضائه، وذلك بالرغم من أن بعض الجيران ممّن أوشكوا على الوقوف عند أبواب الديمقراطية أعطوا نساءهم حق الترشيح والانتخاب. وبالرغم من أن المرأة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية تقدمت بترشيح نفسها لرئاسة الجمهورية وانتخبت عمدة لحكم العاصمة طهران، وأصبحت قبل ذلك قاضية، وهي عضو منذ قيام تلك الجمهورية في مجلس الشورى.

وتجري الحكومة الكويتية حالياً محاولة ثانية مع مجلس الأمة عساه يوافق على اقتراحها بالسماح للمرأة الكويتية بممارسة حقها في الترشيح والانتخاب، وقد انتهيت من الكتابة قبل أن يصدر من مجلس الأمة ما يعطي المرأة حقها الذي شرعه الله لها.

فجوة الخلاف تزيد لو أضفنا إلى كفّتي المعسكرين ما كانت تمارسه دولة طالبان التي حرمت المرأة من واجب ديني إسلامي وهو التعليم، أو كالسعودية التي أصبحت قيادة السيارات فيها هدفاً سامياً تتطلع إليه النساء، وهو يبدو لهن كالسراب ودونه خرط القتاد.

والحقيقة الإسلامية في هذه الشؤون كلها وسط بين الإفراط والتفريط، وبين الجمود على التقاليد الراكدة أو السقوط في هوة التقاليد الوافدة. وهدفي من هذا الكتاب إبراز الحقيقة الإسلامية حاولت جاهداً أن أستقيها من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومما كان سائداً في مجتمع المدينة المنورة في العهد النبوي والخلافة الراشدة مع إيراد أقوال ومذاهب الفقهاء في العصور السالفة، فإن أصاب كتابي الهدف فمن الله وله المنّة وإن أخطأ فمن صاحبه ومن الشيطان والله ورسوله صلى الله عليه وسلم منه بريئان.

وضع المرأة في العهد النبوي

كانت المرأة في الجاهلية قبل الإسلام مهانة وضيعة، وكان العربي يعتبرها مصدر ذل وعار يَسْودّ وجهه إذا بُشّر بمولودة أنثى ويحتار بين أن يمسكها على هون أم يدسها في التراب حيث وصفهم الحق عز وجل بقوله: (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به، أيمسكه على هون ام يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون)(١٤).

وكانت المرحلة المكيّة بعد البعثة النبوية وقبل الهجرة، مرحلة دعوة إلى التوحيد في مجتمع وثني وإلى المساواة في بيئة تؤمن بالفوارق الطبقية والحسب والنسب، لم يكن العهد المكي مرجعاً لأحكام المعاملات التي تحدد أهلية المرأة ومركزها في المجتمع مقارناً بالرجل. ومع ذلك، فقد أبلت النساء بلاءً حسناً في الدعوة إلى الله والصبر على أذى المشركين، فكانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن بالرسالة وكانت سمية بنت خياط أمّ عمار بن ياسر أول شهيدة في الإسلام وشاركت النسوة الرجال في الهجرة إلى الحبشة وكان من بين مَن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الثانية اثنتان من نساء الأنصار.

ثم جاء العهد المدني حيث أقيمت أول دولة إسلامية، وأول مجتمع مسلم، فحدثت أول ثورة قانونية واجتماعية جعلت للمرأة مكانة لم يعرفها العرب من قبل، فكانت للرجل نداً، وفي الحياة الاجتماعية شريكاً، وما كان سهلاً على المكي القرشي الذي هاجر إلى المدينة أن يتقبل الوضع الجديد للمرأة لولا الإيمان بالله والطاعة المطلقة لأوامره. ومما أسهم في تقبل هذا التغير أن نساء الأنصار كن يحظين بعلاقة مع أزواجهن تمكنهن من النقاش والجدل، فبدأت المهاجرات يفعلن فعل نساء الأنصار.

والنماذج المختلفة التي سوف أستعرضها فيما بعد من الواجب أن تكون مؤشراً لأحكام يمكن التوسع فيها في الظروف الحالية، التي تغيَّرت تغيّراً جذرياً عن بيئة المدينة وأوضاعها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، أما أن يحدث العكس في بعض بلادنا الإسلامية فتُفرض على المرأة قيود تنبثق من التقاليد الاجتماعية والقبلية، بعد أن يُخلع عليها رداء إسلامي ينسب إلى الشريعة وهي منها براء، فذلك تصرف سوف يؤدي إلى انفجار قد يبعدنا حتى عن المعايير الإسلامية والمفاهيم الشرعية. فطوفان العولمة ووسائلها من الفضائيات

والإنترنت، لن يحمينا منه إلاّ التطبيق الواعي لروح الشريعة متحررين من مفاهيمنا التي توارثناها من الماضي في عهود التخلف الإسلامي والجمود الفكري.

إن العهد النبوي المدني لم يعرف شيئاً إسمه منع مشاركة النساء الرجال، مثله مثل العهود التي تلته في عصور النهضة الإسلامية، فكل ما حرّمه الإسلام هو الخلوة غير الشرعية، بأن يكون الرجل مع المرأة الأجنبية في مكان لا يراهما فيه أحد، ولا يكون معهما ثالث. فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل رجل على مُغيبة (التي غاب عنها زوجها) بقوله: (لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان)(١٥)، فزيارة اثنين أو أكثر لزوجة غاب عنها زوجها هو، ولا شك، نوع من أنواع الاختلاط المحتشم، مثله مثل ارتياد النساء للمساجد، وحضور صلاة الأعياد، ومشاركتهن الرجال في سماع خطبه عليه الصلاة والسلام. بل كان من النساء في المدينة في العهد النبوي من تفتح دارها للضيفان، فينزل عليها المهاجرون من الصحابة. وهذه أم شريك يصفها عليه الصلاة السلام بأنها امرأة (كثيرة الضيفان)(١٦) حين أرادت فاطمة بنت قيس أن تعتدَّ في بيتها المليء بالرجال، وكانت النسوة يخرجن إلى الأسواق لقضاء حاجاتهن وشراء ما يرغبن، وطُبق ذلك حتى على أمهات المؤمنين بعد أن فُرض عليهن الحجاب، والدليل على ذلك أن ابن الخطاب رضي الله عنه حين اعترض على أم المؤمنين سودة بنت زمعة. لما رآها في الطريق إلى السوق فعادت وأخبرت رسول الله فقال لها عليه الصلاة السلام: (إنه قد أُذن لكُنّ أن تخرجن لحاجتكن)(١٧). فكيف بنساء المؤمنين اللاتي لم يفرض عليهن الحجاب؟

وقد وصل دور المرأة في المجتمع المدني إلى أعلى المستويات، حين ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشفاء بنت عبد الله المخزومية على حسبة السوق(١٨). والحسبة، في رأينا، تحمل الصفة القضائية والتنفيذية معاً، كما هي تجسيد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسوق بمعاييرنا المعاصرة هو المركز الرئيس للنشاط التجاري، فكيف تمارس المرأة المسلمة ذلك النشاط المهم لو كانت حبيسة الدار؟

كما أعطى ابن الخطاب رضي الله عنه سمراء بنت نهيك الأسدية التي تولت المنصب نفسه على سوق مكة سوطاً تضرب به من يغش في البيع أو الكيل(١٩). وهي بذلك قد جمعت بين ما يشبه السلطة القضائية وما يشبه السلطة التنفيذية.

كانت المرأة في العهد المدني النبوي جزءاً لا يتجزأ من المجتمع تشارك الرجل في جميع مرافق الحياة الاجتماعية، فإذا التقيا سلم الرجل على المرأة، وسلمت المرأة على الرجل وقد أورد البخاري تحت باب (تسليم الرجال على النساء والنساء على الرجال) من الأحاديث ما يُرد به على من قال بأن المرأة لا تُسلّم على الرجل إذا التقيا، والأحاديث في هذا المضمار كثيرة ومتعدّدة.

وكانت المرأة تلبي الدعوة لاجتماع عام، فإذا نادى المنادي (الصلاة جامعة) هرعت إلى المسجد لمشاركة الرجال في ذلك الاجتماع، ومثال ذلك حديث فاطمة بنت قيس التي لبت نداء المنادي للصلاة جامعة (٢٠). كما كانت المرأة تفتح عيادة للتمريض تداوي فيها المرضى، مثل خيمة بني غفار لصاحبتها رفيدة الأسلمية التي أقامتها عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوي فيها الجرحى(٢١).

وكان المسجد مكاناً للعبادة تعتكف فيه المرأة مثلها مثل الرجل(٢٢)، كما كان صرحاً للعلم حيث تشترك المرأة مع الرجل في تلقيه، والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة جداً في الصحيحين، ولا داعي لاستقصائها أو ضرب أمثلة عليها. وكان المسجد منتدىً إجتماعياً تمارس فيه ضروب الترفيه المباح كرقص الأحباش، الذي شاهدته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. وقد فرض عليها الحجاب، وكان عليه الصلاة السلام يسترها برادئه(٢٣). وقد ورد في (فتح الباري) تحت عنوان (الرد على من أنكر اللعب في المسجد)(٢٤).

وامتد نشاط المرأة في عهد الرسالة ليشمل الزراعة والتجارة، والأحاديث في هذا الصدد كثيرة، منها حديث أم مبشر الأنصارية صاحبة مزرعة النخل(٢٥)، وحديث خالة جابر بن عبد الله الذي زجرها حين أرادت الخروج لتجدّ نخلها وهي في عدتها، فلما جاءته عليه الصلاة السلام أذن لها. وقال: (بل فجدّي نخلك فإنك عسى أن تصدّقي أو تفعلي معروفاً)(٢٦).

لم تكن المرأة حبيسة النقاب إلاّ من اتخذته منهن عادةً، وكنّ من النوادر، وقد حُرّم النقاب في الصلاة والحج والعمرة، بل كانت المرأة تتجمل للخُطّاب إذا رغبت في الزواج مثل سبيعة بنت الحارث التي تجملت للخُطّاب فسألها أبو السنابل: مالي أراك تجملت للخُطّاب ترجين النكاح؟ فخطبها فأبت أن تنكحه(٢٧) فخطبها رجلان: شاب وكهل فخطبت إلى الشاب (٢٨).

إن من أهم الأدوار التي أدتها المرأة في العهد النبوي الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن الجهاد فرضاً عليهن كالرجال، ولكنه كان رخصة في الغزوات إلاّ إذا كانت حرباً دفاعية فحينذاك يصبح الجهاد واجباً عليها.

وكان دور المرأة في الجهاد آنذاك ينحصر في التمريض وسُقيا المجاهدين العطشى وما إلى ذلك، ولكنها كانت تمارس الحرب الحقيقية شأنها شأن الرجل إذا دعت الحاجة لذلك، والأمثلة على ذلك كثيرة، من أهمها أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية المازنية التي شهدت أحداً والحديبية وخيبرَ وحنيناً وعمرة القضاء ويوم اليمامة. وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما التفت يميناً ولا شمالاً يوم أحد إلا وأنا أراها تقاتل دوني)(٢٩). وكانت رضي الله عنها مع أم أيمن وأم سليم ولما رأين تفوّق المشركين تركن سقاية الجرحى ومداواتهم وألقين بالدلاء وأخذن السلاح من القتلى، ووقفن مع الصحابة يذدن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويذكر الواقدي: (قاتلتْ يوم أحد وجُرحتْ اثنتي عشرة جراحة، وداوت جراحاً في عنقها سنة)(٣٠). وخرجت في خلافة أبي بكر في الردة، فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل مسيلمة، ورجعت وبها عشر جراحات من طعنة وضربة (٣١).

وروى ابن سعد في (الطبقات) أن أم سليط شهدت خيبرَ وحنيناً(٣٢)، وروى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: (أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين فقالت: إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه)(٣٣).

ومن أبطال يوم أحد من النساء أم أيمن التي رأت أحد المشركين يسدد سهماً نحوه عليه الصلاة والسلام فانطلقت تحميه بجسدها، فأصابها السهم في عاتقها(٣٤). وفي غزوة خيبر أبلت السيدة أمية بنت قيس الغفارية أحسن البلاء في قتال اليهود فقلدها الرسول صلى الله عليه وسلم قلادة، مثل الأوسمة الحربية التي تعلق على صدور القادة والأبطال.

واستمرت المرأة تمارس القتال الحقيقي بعد عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم(٣٥). فهذه أسماء بنت يزيد ابن السكن بنت عم معاذ (قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاطها(٣٦). وشهدت أم موسى اللخمية، زوج نصير اللخمي والد موسى ابن نصير معركة اليرموك فقتلت حينئذي علجاً وأخذت سلبه(٣٧).

وقصة أم حرام التي دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون ممن يركب البحر يجاهد في سبيل الله، فاستجاب الله دعاءها، وركبت البحر إلى قبرص في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه واستشهدت هناك، وقبرها معروف في لارنكا(٣٨).

والأمثلة على بطولات المرأة المسلمة في الحرب كثيرة لا مجال للاسترسال فيها فقد برزت منهن من لا تقل عن الرجال الصناديد في الشدة والقتال والضرب بالسيف أمثال: أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وخولة بنت الأزور وأم حكيم زوج عكرمة بن أبي جهل.

وما أردت أن أرمي إليه هو أنه إذا لم يكن القتال بالسلاح فرضاً على المرأة، كما هو على الرجل، فهو مباح إذا أرادت أن تمارسه ولا مانع شرعاً أن تكون المرأة اليوم من المجندات في شتى الأسلحة البرية والبحرية والجوية، إذا روعي ما تفرضه الشريعة. حماية واحتراماً لها، وليس انتقاصاً من قدرها أو تقليلاً من أهميتها.

والصحابيات اللواتي روين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرات، وهن معروفات لا داعي للاسترسال في ذكرهن، وذكر مراكزهن العلمية، وقد ثبت كيف أن الصحابة سعوا إليهن لأخذ آرائهن وفي مقدمتهن أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن.

ولقد شاركت المرأة المسلمة في عهده صلى الله عليه وسلم في النشاط السياسي كالبيعة والهجرة والمشورة، ويحاول بعض الذين ينتقصون من قدر المرأة القول بأن بيعة النساء تنصب على عدم السرقة وعدم الزنا. ونسوا قول الله تعالى:(ولا يعصينك في معروف)(٣٩). ويدّعون أن الهجرة ليست عملاً سياسياً وهي، ولا شك، قمة في العمل السياسي، لم يُستثن منه إلا المستضعفون من الرجال والنساء، ومشورة أم سلمة رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية أحسن مثال نضربه في هذا الصدد، إذ عبّرت عن عمق فهمها وحسّها السياسي في حل مشكلة عدم انصياع بعض الصحابة لأمره عليه الصلاة والسلام بالتحلل من الإحرام.

نكتفي بهذا القدر من النماذج التي تحكي حياة المرأة في العهد النبوي ومشاركتها الرجل في شتى ميادين الحياة، ولو شئنا الاستطراد لوجدنا من الأمثلة أضعاف ما قد ذكرنا، ولكنا نرجو أن نكون قد وُفقنا في إيضاح الصورة الحقيقية التي تختلف عما هو سائد في بعض أقطارنا الإسلامية، أو ما هو معتمد عند بعض علمائنا.

دور المرأة المسلمة في العصور اللاحقة

برز دور المرأة المسلمة أكثر وضوحاً في مشاركتها الرجل في الحياة العامة، وذلك في السنوات التي تلت وفاته عليه الصلاة والسلام، وكذلك في العهد الأموي واستمر في ازدهاره، ثم بدأ المجتمع الإسلامي، بعد القرن الخامس الهجري، يدخل تدريجياً مرحلة التقهقر، ولكن بدرجات متفاوتة، وفي مناطق مختلفة. ولم يمنع ذلك التقهقر ظهور شخصيات نسائية بارزة أضاءت ظلام الجهل والتخلف الذي بدأ يسود في بعض أنحاء العالم الإسلامي.

في الجهاد مثلا، ذكرنا، فيما سبق، أمثلة لجهاد بعض الصحابيات بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، واستمر ذلك وبشكل أكبر حجماً وأبلغ أثراً. ففي بعض المعارك الكبرى، كاليرموك والقادسية، وصل عدد النسوة المجاهدات إلى بضعة آلاف امرأة. وكان لهن، ولا شك، أبلغ الأثر في تحقيق النصر. فهذه أسماء بنت أبي بكر، بصحبة زوجها الزبير بن العوام، في معركة اليرموك بقيادة خالد بن الوليد، تحارب على فرسها وبسيفها تصول وتجول، إلى جانب أنها كانت تخطب في الرجال تحثهم على القتال(٤٠). وخولة بنت الأزور شاركت في معركة اليرموك وفتح مصر، وقاتلت الروم وهي ملثمة لا يظهر منها إلاّ حدق عينها. وكان خالد بن الوليد يعجب من ذلك الفارس الذي يضرب ذات اليمين وذات الشمال، ويخترق صفوف الروم، ويختفي ثم يعود مرة أخرى إلى صفوف المسلمين. ولما أزاح الفارس لثامه، دهش الجميع من أنها امرأة وأعجبوا بشجاعتها(٤١). وهذه أم حكيم في المعركة نفسها مع زوجها عكرمة بن أبي جهل، وكان على قيادة فيلق نيط به الدفاع عن قنطرة ومنع الرومان من عبوره، فأصابه سهم قاتل، فاستشهد. وأراد الرومان مباغتة المسلمين وعبور القنطرة التي تفصل بين الجيشين، انتهازاً منهم لاستشهاد القائد عكرمة، فاندفعت أم حكيم وأخذت سلاح زوجها القتيل ومعها فريق من نساء الصحابة، فقاتلن الرومان على القنطرة، وردوهم على أعقابهم» فكرمها خالد بن الوليد وأطلق اسمها على القنطرة التي لا تزال تحمل اسمها حتى اليوم في فلسطين المحتلة(٤٢). وكانت النسوة يمارسن أدواراً أخرى في المعارك. ففي معركة اليرموك، مثلاً، وضع خالد بن الوليد النسوة على ربوة خلف الجيش، وأمرهنّ بمنع المتراجعين بحثّهم على العودة للقتال، فكنّ يضربن من يتراجع بالحصى والتراب، ويخطبن فيهن، إلى أين تنهزمون يا أهل الإسلام عن الأمهات والأخوات والبنين والبنات؟ أتريدون أن تسلمونا إلى أعلاج الروم؟(٤٣). فكنّ بذلك يلقنّ المتخاذلين دروساً في الثبات والإقدام. وهذه هند بنت عتبة، تضرب وجه حصان زوجها أبي سفيان، وهو يتراجع بفرسه تحت ضغط جنود الرومان، قائلة: (إلى أين يا أبا صخر ارجع إلى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الزبير بن العوام: فلما سمعت كلام هند لأبي سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم)(٤٤). ويذكر المؤرخون أن النساء، من شدّتهن على المتراجعين الذين ولوا الأدبار في تلك المعركة، جرحن خمسة منهم، وقتلن واحداً، وذلك بأعمدة الخيام. ويروي الواقدي على لسان منهال الدوسي - أحد المجاهدين في معركة اليرموك - قوله: (كانت النساء أشد علينا غلظة من الروم)(٤٥).

ولا أظن أن التاريخ البشري قد سجل معركة كبيرة خاضها جيش من النساء ضد جيش كله من الرجال إلاّ في معركة الرملة بفلسطين، التي خاضتها نساء المسلمين ضد جيش الرومان وانتصرن عليهم. فقد علم قائد جيش الرومان في مصر أن جيش عمرو بن العاص قد ترك تموينه والكثير من عدة الحرب في الرملة، وأن الذي يحرسها فريق من النساء، فركب الأسطول، ونزل على الشاطىء، وحاصر النساء في الليل، وهو يعتقد أنه على وشك تحقيق غنيمة سهلة. ولكنه فوجيء بالنساء يبادرن إلى سلاحهن ويصرخن كالنمور، وكانت معركة ضارية بين نساء المسلمين وجيش الرومان، مع الفارق في العدة والعدد والعتاد، انتهت بهزيمة جيش الرومان الذي تراجع مهزوماً مخلفاً وراءه أسرى وجرحى. وقد جُرحت خولة بنت الأزور في تلك المعركة، وسقطت أسيرة في أيدي الرومان حتى استنقذها عمرو بن العاص (٤٦).

لم يكن دور المرأة المسلمة مقصوراً على الجهاد، وهو، ولا شك، أهم نشاط في المجتمع يُظهر بجلاء قدر المرأة في أمر يظن البعض أنه من اختصاص الرجل وحده، إذ برزت المرأة المسلمة في مجالات أخرى تظهر أهميتها وعظيم قدرها. والأمثلة على ذلك لا عد لها ولا حصر، ولكني سأقتصر على إيراد بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر، وهي:

المصحف الشريف حين جمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه وضع عند أم المؤمنين حفصة، رضي الله عنها، وبقيت نسخته الوحيدة عندها طوال خلافة أبي بكر وخلافة عمر رضي الله عنهما(٤٧). والقرآن هو أقدس مقدساتنا وأهم ما يبنى عليه وجود الإسلام وتنبثق منه شريعته.

وفي مجال الممارسة السياسية فإن المرأة المسلمة خاضت مجالات السياسة بكافة أنواع الممارسات، فقد قادت أم المؤمنين عائشة جيشاً، لتعبر عن رأيها السياسي في اغتيال الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وكان كثير من النساء يمارسن نشاطاً سياسياً خطابياً ضد معاوية بن أبي سفيان، ونصرة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكتب التاريخ مليئة بقصصهن في جدلهن مع معاوية عندما استقر له الأمر وآلت إليه الخلافة. ومنهن سودة بنت عمارة بن الأشتر، وبكارة الهلالية، والزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمذانية، وعكرشة بنت الأطرش بن رواحة، ودارمية الحجونية، وأروى بنت الحارث بن عبد المطلب. ولا حاجة لذكر ما دار بينهن فرادى وبين معاوية من نقاش يظهر فصاحتهن وبلاغتهن، ويعبر بوضوح عن قوة الشخصية من جهة والبراعة السياسية من جهة أخرى(٤٨).

وهند بنت زيد الأنصارية، فتحت دارها في العراق ليكون نادياً

سياسياً لاجتماعات معارضي معاوية» حيث كان الرجال يرتادونه للتشاور. وكانت هند امرأة بليغة قوية الحجة والبيان، أتى ابن جرير على ذكرها ووصف نشاطها وبلاغتها(٤٩).

وتأتي في مقدمة النساء المسلمات ممن قمن بنشاط سياسي مؤثر وقوي أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه التي صاحبت علي بن الحسين بن علي إلى الكوفة سنة ٦١هـ وكانت خطبها السياسية قوية المفعول والأثر في نفوس سامعيها، حتى وصفها الإمام حذيم الأسدي قائلاً: (لم أر خفرة والله أنطق منها..

كأنما تنزع عن لسان أمير المؤمنين علي. وأومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس... وتكلمت فانهالت دموعهم على لحاهم)(٥٠).

في حقل العلم والأدب، كانت المرأة المسلمة ذات باع طويل. فهناك سكينة بنت الحسين(٥١)، الأديبة الناقدة، التي كانت تتذوق الشعر، وتفتح دارها للشعراء والأدباء، وتجالس الأجلاء من قريش في المدينة المنورة، إلى جانب ولعها بالموسيقى.



وهناك من الشاعرات المسلمات الكثيرات ممن ورد ذكرهن في كتب الأدب العربي، منهن: ولادة بنت المستكفي، وعليَّة بنت المهدي، وحمدة بنت زياد، وعائشة الباعونية، والخنساء، وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله، التي كانت أديبة فصيحة اللسان عالمة بأخبار العرب، تستقبل الرجال ولا تحتجب عنهم. وعندما قال لها أنس بن مالك: إن القوم يريدون أن يدخلوا عليك قالت: (أفلا قلت لي فألبس أحسن ثيابي(٥٢).

في علوم الدين ورواية الحديث فقد اشتهر من النساء الكثيرات. يقول الحافظ الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال): إنه لا يعلم امرأة اتهمت في روايتها للحديث، ولا من تركها المحدثون(٥٣). ونبدأ بميمونة بنت سعد، مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قال عنها ابن الأثير: إن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه تلقى الحديث عنها(٥٤)، وذكر الذهبي أن أبا بكر الخطيب البغدادي قرأ (البخاري) بمكة على كريمة المروزيه(٥٥)، التي كانت من المحدثات، وأن الحافظ بن عساكر كان يقرأ الحديث عن بضع وثمانين امرأة من راوياته(٥٦). ومحمد بن أبي شامة المؤرخ، قرأ (البخاري) على أم الفضل كريمة بنت عبد الوهاب(٥٧). وفاطمة بنت عباس، كانت عالمة فقيهة زاهدة واعظة، لها أثرها العظيم في نساء مصر ودمشق(٥٨). وأخت المزني كانت تحضر مجلس الشافعي (٥٩)، وقد نقل عنها الرافعي في الزكاة. ونفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب كان الشافعي يصلي بها في رمضان، وقد صلت هي على جنازته حين مات، بعد أن طلبت إدخال الجنازة في بيتها(٦٠)، وفاطمة بنت عبد الرحمن الحرانية الصوفية، سمعت عن أبيها الحديث، وروى عنها ابن أخيها(٦١). وكانت السيدة شُهدة، التي لقبت بـ(فخر النساء) في القرن الخامس الهجري، تلقي في مسجد بغداد دروساً في الأدب، كما كانت تدرس التاريخ الإسلامي، وكان يحضر دروسها كثير من العلماء الأفاضل(٦٢). والسيدة عائشة بنت أحمد بن قادم الأندلسية، لم يكن في زمنها من يماثلها علماً وفضلاً، كما كانت تجيد كتابة المصاحف(٦٣). والفقيهة الحنبلية ست الملوك فاطمة بنت علي بن الحسين بن حمزة، التي أجازت بعض علماء عصرها في قراءة سنن الدارمي(٦٤).

خصص المؤرخ المكي الفاسي، في كتابه (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) فصلاً عن النساء اللاتي درس عليهن، وترجم لهن ، وحوى مائتين وخمسين ترجمة لأولئك العالمات والشيخات الفاضلات من نساء مكة أو ممن وفدن إليها وأقمن بها(٦٥).

ترجم عمر بن فهد الهاشمي المكي في كتابه (الدرّ الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) لمائتين وست وثمانين عالمة مكية من اللواتي أُجزن واستُجزن. كما ترجم الشيخ محمد ابن عبد الله بن حميد، مفتي الحنابلة في مكة المكرمة، لسبع وثلاثين من عالمات الحنابلة، لعل من أبرزهن العالمة الشهيرة فاطمة بنت حمد الفُضَيْلي الحنبلي الزبيرية، والمعروفة بـ (الشيخة الفضيلية) بضم الفاء وفتح الضاد وإسكان الياء. وهي من أهل القصيم، ولدت بالزبير ودرست فيها، ثم انتقلت إلى مكة المكرمة فأصبحت من كبار عالماتها، وكتبت كتباً كثيرة في فنون شتى، وجمعت كتباً جليلة في سائر العلوم، وكان يتردد عليها غالب علماء مكة، يُسمعونها ويَسمعون منها (وقد أجازتهم وأجازوها) وتوفيت، رحمها الله، ودفنت بمكة المكرمة. وانتقلت مكتبتها إلى المدينة المنورة، وضاع أثرها بالرغم من اهتمام الشيخ ابن حميد بها، الذي لم يبق لديه من تلك المكتبة إلا القليل. وقد ترجم لها وذكر وفاتها سنة ١٢٤٧ هـ (٦٦).

وقد أحسن الأستاذ إبراهيم بن حمود المشيقح، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، في كتابه (تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال الدر الكمين لابن فهد)، حيث ذكر في إيضاح المكانة العلمية لنساء مكة العالمات اللواتي درسن وبرزن، وكن نبراساً يضيء عقول علماء مكة المكرمة بما وهبهن الله عز وجل من العلم والدين في القرن التاسع الهجري، حين كانت أوربا تعيش تحت سحب الجهل الداكنة(٦٧).

والحديث عن دور المرأة المكية في التدريس، وعن المراكز المرموقة التي تبوأتها، موضوع يحتاج إلى مؤلف منفرد، ليس هذا الكتاب موضعه.

تاريخ الإسلام مليء بالمسلمات اللاتي تبوأن الحكم أو مارسن العمل الإداري. منهن السيدة لبنى التي عينها الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر على رئاسة ديوانه، وكانت تتولى كتابة رسائله إلى الولاة والمسؤولين، إلى جانب كتمان أسراره وإدارة أعماله، وقد اشتهرت بالبلاغة والشعر والعلوم والفنون(٦٨). والملكة أروى بنت أحمد، زوج الملك الأكرم، التي امتد حكمها في اليمن نحواً من أربعين سنة في أواخر القرن الخامس الهجري(٦٩). وقد أُلفت عنها الكتب وأُعدت رسائل جامعية تبحث في إنجازاتها العلمية والإدارية

والسياسية. والسيدة ضيفة خاتون، التي تولت الحكم في حلب سنة ٦٣٤هـ بعد وفاة أبيها الملك العزيز، وهي ابنة أخ السلطان صلاح الدين الأيوبي، وظلت في الحكم ست سنين(٧٠). وفاطمة بنت الحسن بن محمد علي ملكة صنعاء في اليمن، التي استولت على صعدة ونجران(٧١). وصفوة الدين باديشاه بنت قطب الدين، سادس ملوك الدولة التطفلية، ملكة كرمان(٧٢). وهناك ملكتان في الهند تولتا الحكم في أثناء الحكم الإسلامي، هما سكندر بيكم وشاه جيهان(٧٣). والإمبراطورة نور جهان، حكمت شمال الهند سنة ١٦٢٠م، وكان اسمها منقوشاً على النقود الهندية، واشتهرت بحزمها ورجاحة عقلها وحسن إدارتها لشؤون دولتها السياسية والعسكرية(٧٤). وفي إندونيسيا تولت الحكم عدة نسوة بين عام ١٦٤١م وعام ١٦٨٨م، منهن صفية الدين تاج العالم(٧٥)، ونقية شاه، وعنايت شاه، وكمالت شاه (٧٦).

خلاصة القول: إن الكتابة عن دور المرأة في العصور اللاحقة للعصر النبوي تستغرق حيزاً ضخماً لو أردنا أن نوفي الموضوع حقه. وما سبق أن أوردنا من أمثلة تعطي القارىء صورة حقيقية تصد هجمة الذين يريدون أن تبقى المرأة حبيسة دارها، محرومة من أداء دورها الذي أراده الله لها.

هوامش

(١) سورة الحجرات. الآية ١٣

(٢) سورة التوبة. الآية ٧١

(٣) الجامع الصغير. جلال الدين السيوطي. جـ ١ ص ٣٤٤ الحديث رقم ٢٣٢٩. رواه أحمد وأبو داوود والترمذي عن عائشة، رضي الله عنها، عن أنس بن مالك

(٤) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي ص ١٥٥

(٥) المساواة في الإسلام، علي عبد الواحد وافي ص٤٩

(٦) سفر الخروج ٢١/٧ (وسفر اللاويين ١٢/١-٥) سفر التثنية ٢١/١٥/١٧

(٧) قصة الحضارة، وول ديورنت جـ ١٧ ص ١٣٩(قاموس الآثار المسيحية. جـ ٥ ص ١٣٠٠ وما بعدها.

(٨) أبو زهرة، الفقه الإسلامي والقانون الروماني، د. صوفي أبوطالب، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية. دار النهضة العربية، ١٩٨٦م، ص ٣٦

(٩) فتح الباري، كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها، جـ ٥ ص١٣٧ حديث رقم ٢٣٩٣

(١٠) د. محمود سلام زناني، اختلاط الجنسين عند العرب، دار الجامعات المصرية (١٩٥٨م)، ص٨٣

(١١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ ١ ط ١٩٢٨ القاهرة، المرجع السابق: اختلاط الجنسين عند العرب

(١٢) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣ م. جـ ١، ص٨٧

(١٣) رواه البخاري وابو داوود والترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجة عن ابن عباس، انظر الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، جـ ٢ ص١١٧

(١٤) سورة النحل الآية ٥٨-٥٩.

(١٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، حديث رقم ٢١٧٣ المسند، جـ ٢ حديث رقم ٦٦٠٣ ورقم ٦٧٥٣

(١٦) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، حديث رقم ٢٩٤٢.

(١٧) صحيح البخاري، كتاب التفسير، جـ ١٠، ص ١٥٠، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب إباحة خروج النساء لقضاء الحاجة جـ ١٤ ص٣٧٥ حديث رقم ٥٦٣٢، الطبقات جـ ٨ ص ١٢٥، المسند جـ ٦ ص ٥٦

(١٨) المحلى، ابن حزم، جـ ٩ ص ٤٢٩، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ١٥٠، الإصابة جـ ٧ ص ، ١٢٤ ٧٢٧ ، الطبقات، ابن سعد، جـ ٨ ص ٢٦٨، أسد الغابةجـ ٦ ص ١٦٢، الوافي بالوفيات صلاح الدين الصفدي، جـ ١٦ ص ١٦٨، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين الفاسي، جـ ٨ ص ٢٥٢

(١٩) علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، جـ ٩ ص ٢٦٤، الاستيعاب في أسماء الأصحاب. يوسف بن عبد الله بن عبد البر، جـ ٤ ص ١٨٦٣، ثقات ابن حبان، بيروت، دار الجيل، ط١ ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، جـ ٣ ص ١٨٥

(٢٠) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، حديث رقم ٢٩٤٢

(٢١) الأدب المفرد، الإمام البخاري، ١١١، السيرة النبوية، ابن هشام جـ ٣ ص ٢٣٨، أسد الغابة، جـ ٦ ص ١٠، تهذيب الكمال، جـ ٣٥ ص ١٧٤، الإصابة، جـ ٨ص٨١ ترجمة رقم ٤٢٢

(٢٢) المدونة الكبرى، الإمام مالك بن أنس، جـ ١ ص ٢٣١

(٢٣) متفق عليه

(٢٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، جـ ٢ ص ٤٤٤

(٢٥) صحيح مسلم، باب فضل الغرس والزرع، جـ ٢ ص ١٥٥

(٢٦) صحيح مسلم. كتاب الطلاق ص ٥٧ وكتاب الرضاع ص ١٢٢، سنن أبي داوود، كتاب الطلاق ص ٤٤ المسند جـ ٢ ص٢٢١

(٢٧) صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث رقم ٣٩٩١ وفي كتاب الطلاق، حديث رقم ٥٣١٩، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها، رقم الحديث ٣٧٠٦ المسند جـ ٦ ص ٤٢٢ سنن أبي داوود، كتاب الطلاق، باب عدة الحامل، رقم الحديث ٢٣٠٦، سنن النسائي، كتاب الطلاق، باب عدة الحامل المتوفى عنها زوجها، حديث رقم ٣٥٠٦ ورقم ٣٥١٨سنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب المتوفى عنها زوجها، حديث رقم ٢٠٢٨

(٢٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، جـ ٩ ص ٤٧٢

(٢٩) فتح الباري، جـ ٦ ص ٨٠ حديث رقم ٢٨٨١، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ ٨ ص ٢٦٢ سبل الهدى والرشاد، جـ ٥ ص ٣٣٠، حياة الصحابة، الكاندهلوي، جـ ١ ص ٦١٦

(٣٠) فتح الباري، جـ ٦ ص ٩٣ حديث رقم ٢٨٨١ صفوة الصفوة، ابن الجوزي، جـ ٢ ص ٦٣

(٣١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ ٨ ص ٤١٢-٤١٣، البداية والنهاية، جـ ٤ ص ٣٤، كنز العمال، جـ ٧ ص٩٧، الإصابة، جـ ٤ ص ٢٦١، المغني، جـ ١٠ ص ٣٩١

(٣٢) الطبقات، جـ ٨ ص ٤١٩، وانظر فتح الباري، جـ ٦ ص٨٠

(٣٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال، جـ ١٠ ص٥١٠ حديث رقم ١٨٠٩، الطبقات، جـ ٨ ص ٤٢٤، كنز العمال جـ ٥ ص ٣٠٧، الإصابة، جـ ٨ ص ٢٤٢حياة الصحابة، الكاندهلوي، جـ ١ ص٥٩٧، صفوة الصفوة، جـ ٢ ص ٦٤، أسد الغابة جـ ٦ ص ٣٥٤ البداية والنهاية، جـ ٤ ص ٣٤

(٣٤) فتح الباري، جـ ٦، ٩٣ حديث رقم ٢٨٨١ (الطبقات، جـ ٨ ص ٢٢٥) سبل الهدى والرشاد، جـ ٥ ص ٣٣٠، البداية والنهايةجـ ٤ ص ٣٤

(٣٥) الطبقات، جـ ٨ ص ٢٩٣، مسند أحمد بن حنبل، جـ ٦ ص ٣٨٠، حياة الصحابة، جـ ١ ص ٤٨٥

(٣٦) الإصابة، جـ ٨ ص ١٢-١٣، مجمع الزوائد، جـ ٦ ص ٢١٣، حياة

الصحابة، جـ ١ ص ٥٩٧
(٣٧) الإصابة، جـ ٨ ص ٢٨٥
(٣٨) فتح الباري، كتاب الجهاد والسير، باب غزو المرأة في البحر، جـ ٦ ص ٨٩ رقم الحديث ٢٨٧٧ الإصابة، جـ٨ ص ٢٢٣ ترجمة رقم ١٢٠٨، الطبقات، جـ ٣ ص ٥٤٦ جـ ٨ ص ٤٣٥، البداية والنهاية، جـ ٦ ص ٢٢٧ـ٢٢٨ جـ ٧ ص ٨٤، ١٥٨، تهذيب التهذيب، جـ ٥ ص ١١١، سير أعلام النبلاء، جـ ٢ ص ٥٠١١.
(٣٩) سورة الممتحنة الآية ١٢
(٤٠) الواقدي، فتوح الشام، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة ، ١٩٥، جـ ١، ٤٥ (ابن سعد الطبقات الكبرى، جـ ٨، ٢٥٣) الدر المنثور في تراجم ربات الخدور، ص ١٢٠
(٤١) الواقدي، فتوح الشام، جـ ١، ص ٦
(٤٢) ابن الأثير، أسد الغابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، جـ٥، ٥٧٧ (وانظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، جـ٤، الجزء٨، ص ٢٢٥ الإصابة، جـ ٤، ٤٤٣–٤٤٤) الأعلام، جـ ٢، ص ٢٦٩.
(٤٣) أبو عبد الله بن عمر الواقدي، فتوح الشام، جـ ١، ٢٠٦، بيروت: دار الجيل، د.ت
(٤٤) المصدر نفسه ، جـ ١،ص ٢٠٧
(٤٥) المصدر نفسه ، جـ ١، ص٢٠٨
(٤٦) الواقدي ، طبعة البابي الحلبي جـ ١، ص٢١
(٤٧) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث رقم ٤٩٨٧ (السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان ١٩٨٧،جـ ١، ص١٦٩) وانظر أيضا: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٢، جـ ١، ص٢٣٩
(٤٨) الطبقات، جـ٨، ص ٣٤، الإصابة، جـ٨، ص ٤ (الدر المنثور، ٢٥) أسد الغابة، جـ ٦، ص٣٢ تاريخ الطبري، جـ ٥، ص ٤٦١ العقد الفريد، جـ ١، ص ٣٤٤ـ٣٥٨، بلاغات النساء، ص ٣٧، ٧٤ تاريخ دمشق، ص ٢٥٤، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص١٩٧ حدائق الحقائق في تكملة الشقائق المسمّى ذيل الشقائق النعمانية، عطا الله أمين يحيى المعروف بـ (نوعي زادة)، ص٨١
(٤٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٢٠، وانظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، جـ ٥، ص ٢٣٤ـ ٢٣٥، وانظر أيضاً: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق: علي مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، ط١، ١٩٩٨، جـ ٤، ص ٥٠٠
(٥٠) ابن الأثير، أسد الغابة، جـ ٥، ٤٦٩، وانظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة، جـ ٨، ص ١٠٠، وانظر أيضا: محمد الحسون، أعلام النساء المؤمنات، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، ط٢، ١٤١٨هـ، ص ٢٣٩ وانظر أيضا: ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر، بلاغات النساء، منشورات مكتبة بصيرتي، إيران، (د.ت)، ص ٢٣
(٥١) عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ ٣، ص ٢٠٢ـ٢٢٤ .
(٥٢) المصدر نفسه ، جـ ٣ ،ص ١٣٧ –١٥٥
(٥٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة ? بيروت، ١٩٦٣، جـ ٤،ص ٦٠٤
(٥٤) ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص ٥٥١، وانظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ ٥، ص ١٤٠ـ١٤١
(٥٥) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣، جـ١٨، ص ٢٧٧(وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١٢،ص ١٠٥)
(٥٦) ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، طبقات الشافعية: تحقيق الحافظ عبدالعليم خان، عالم الكتب ، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٧، جـ٢، ص١٣
(٥٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ ٢٣، ٩٢ـ٩٣ (وانظر: الذهبي، العبر في خبر من عبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٩٨٥، جـ ٤، ص ٤٠) وانظر أيضا: عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ ٤، ص ٢٤٣ـ٢٤٣
(٥٨) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١٤، ص ٧٢
(٥٩) الشافعي، محمد بن إدريس، كتاب الأم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٣، بيروت– لبنان، جـ ١، ص ١٢
(٦٠) المقريزي، أحمد بن علي، الخطط المقريزية، دار صادر، بيروت لبنان (د.ت) جـ ٢، ص٤٤١ وانظر: عمر رضا كحالة ، أعلام النساء، ج٥، ص ١٨٨
(٦١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، جـ ٤، ص٣٣١ ، وانظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ ٤، ص ٧١ (٦٢) الذهبي، العبر في خبر من عبر، جـ ٣، ص ٦٥ ـ ٦٦، وانظر، الذهبي، سير اعلام النبلاء، جـ ٢٠،ص ٥٤٢، ٥٤٣، وانظر أيضاً: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩م، جـ ٢، ص ٤٧٧، ٤٧٨
(٦٣) المقري التلمساني، أحمد بن محمد، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت : ١٩٨٨، جـ٤، ص ٢٩٠ وانظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت: ط٨، ١٩٨٩، جـ ٣، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠، وانظر أيضاً: عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ ٥، ص ١٤٠ـ ١٤١
(٦٤) الزركلي، الأعلام، جـ ٥، ص ١٣١، وانظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ٤، ص ٨٠
(٦٥) محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمود الطناحي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة: جـ ٨، ص ١٧٧ـ٣٦٣ .
(٦٦) محمد بن عبد الله بن حميد، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تحقيق: بكر بن عبد الله وعبد الرحمن بن سليمان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م، جـ ٣، ص ١٢٢٧ـ١٢٢٨
(٦٧) راجع الصفحات ٦٠، ١٠٦، ١٣٤، ١٣٨
(٦٨) عمر رضا كحالة، أعلام النساء ، جـ ٤، ص ٢٨٧
(٦٩) الزركلي، الأعلام، جـ ١، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠
(٧٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٢٢، ص ١٣٣ـ٥٤٣، وانظر: الزركلي، الأعلام، جـ٣، ص ٢١٦ وانظر أيضاً: المقريزي، أحمد ابن علي ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢، جـ ١، ص٢٧١
(٧١) الزركلي، الأعلام، جـ٥، ص ١٣٠، وانظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ٤، ص ٤٣
(٧٢) عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ ٢، ص ٣٢٩
(٧٣) البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الفكر ، بيروت، ١٩٨٢، جـ ١، ص ٤١٥، وانظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ ٢، ص ٢٨٣ـ ٢٨٤
(٧٤) عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ ٥، ص ١٩٧ ـ ١٩٨
(٧٥) المرجع نفسه.
(٧٦) المرجع نفسه.

See also, P. Voorhoeve, Critical Survey of Studies on the languages of Sumatra, The Hague 1955,5Ü8, and P. Voorhoeve, Iskandar Muda,zoon van Ali, BTLV 107, 364/.5

أهل القلم وأهل السلاح

حاملو السلاح والمتفجرات، الذاهبون الى الجنة على النعوش الملائكية، والإنتحاريون الذين استهدفوا الأبرياء والآمنين في بيوتهم قتلاً وتدميراً..

هؤلاء نالوا عفواً ملكياً قرئ على الملأ العام من أعلى قيادة في الدولة وعبر شاشة التلفزيون الرسمي.

وعدوهم بـ (العفو عمّا مضى) وجنّدوا (المشايخ) لإقناعهم بالعدول عن حمل السلاح في وجه حكم آل سعود. وانبرى سفر الحوالي وغيره يتصلون بتلامذتهم العنفيين الإرهابيين مقدمين الإغراءات بالعفو، وربما بالمعونة المالية لبدء حياة جديدة.

هذا والعنفيون يتمنّعون، ويرفضون، ويصرّون على جهاد (آل سعود).. فتفتّقت عقلية الحوالي بأن حاول إقناعهم بأن ميدان الجهاد يمكن أن يتغير، فلماذا المملكة؟! لتذهبوا إذن الى العراق! الساحة المفتوحة لتصفية الحساب مع (الرافضة) ومع (الأمريكان) وللدفاع عن (السنّة العرب).

العوفي ـ زعيم القاعدة الجديد في جزيرة العرب! ـ رفض العرض، وأعلن على الملأ ما قاله الحوالي، وبرّر رفضه بأن الجهاد في السعودية أولى، وأنه يقف على ثغرة من ثغور الإسلام يحاول أن يسدّها، وأن جهاد آل سعود هو عونٌ لجهاد أهل العراق، وأنه يفضل الرباط في جزيرة العرب على أن يرابط في العراق!

وبعد مدّة من عرض العفو الرسمي، لم يتبرّع ليسلّم نفسه سوى ستة أشخاص، أحدهم لا علاقة له بالموضوع بقدر ما هو تاجر سلاح! يبحث عن الربح، والآخر تقطعت به السبل في الخارج وأصبح معوّقاً فوجدها فرصة لأن يعود الى أهله، وثالث مطلوب في الخارج ـ طلّق الجهاد الوهابي ـ وأراد العودة، حيث توسّط أهله له فعاد من إحدى الدول العربية. أما الثلاثة الباقون فلا يعلم تفاصيل كثيرة عن موقعيتهم من موجة العنف التي اجتاحت المملكة من أقصاها الى أقصاها في السنوات الثلاث الماضية.

وبرّت الحكومة ممثلة بوزارة الداخلية بوعدها، فأطلقت سراح الحصيلة الهزيلة من العفو وهم ستة أشخاص قبيل عيد الفطر المبارك الماضي!

أما الصورة الأخرى النقيضة فهي هذه:

مجموعة من قيادات العمل السلمي الإصلاحي، الذي زعم رموز السلطة ـ وفي تصريحات علنيّة ـ أنهم يؤيدونه يعتقلون في ١٦ مارس الماضي بتهمة (التحريض على الإرهاب)! والطعن في النظام القضائي! وما أشبه من تهم ساذجة غبية، في حين أن كل المعتقلين هم من الرموز الفكرية والسياسية المعروفة بالإعتدال ونبذ العنف والعمل في العلن.

هؤلاء حملة القلم، من أساتذة الجامعات والصحافيين والمحامين، الذين نقرأ لهم دراساتهم ومقالاتهم وكتبهم في الإصلاح الدستوري والتأكيد على (الولاء للقيادة!) وعلى (وحدة الدولة) وعلى (سلمية التحرك) ليس فقط لم ينالوا عفواً هم لا يستحقونه بنظر الأمراء، كما ناله حملة السلاح، بل حرموا من أبسط حقوقهم في المحاكمة العلنية العادلة، ومن الرعاية الصحية داخل المعتقل.. ولازال الإصلاحيون داخل السجون، فيما المحاباة والتودد لدعاة العنف وممارسيه.

الفارق في معاملة الحكومة لحملة القلم وحملة السلاح يشرح لماذا لا يمكن لنا أن نتفاءل بإمكانية قيام إصلاح سياسي حقيقي في المملكة، كما يوضح سرّ تواصل العنف في البلاد. فمن يحابي العنفي ويقمع السياسي السلمي المستنير لا يمكن أن يصل بالبلاد الى شاطئ الأمان.



الحجاز - Microsoft Internet Explorer

File Edit View Favorites Tools Help

Address http://www.alhejazi.net/

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثار

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات

عزاؤنا فيك يا فقيد العلم يا عالم مكة

ما أظن أن سكان أم القرى وما جاورها قد أصابهم فزع وذعر كما أصابهم نبأ فقدان عالم مكة ورمزها وسيد أهلها، السيد الجليل، والعالم الكبير، السيد محمد بن علوي مالكي الحسني، الذي رحل عنا ونحن في أشد الحاجة لوجوده بيننا.

الحجاز لن يتخلّى عن هويته وتراثه

نخبة الحجاز: هموم المرحلة وتحديات المستقبل

من نافلة القول التأكيد على أن (الحجاز) وقد سبق له أن كان دولة تتمتع بكل أجهزة الدولة الحديثة هو الأكثر إخافة لحكم النجديين الوهابيين من أن يفلت من بين أيديهم، فيخسروا مكانتهم الدينية، وتبقى دعوتهم المتطرفة في حدود صحرائها، لا تتمتع بغطاء الحرمين الشريفين وإدارتهما، واللذان من خلالهما يتم فرض المذهب الوهابي وتضليل العالم الإسلامي، بل ومن تحت ذلك الغطاء تتم ممارسة أبشع وسائل التدمير لتراث الحجاز وتراث المسلمين.

وإذا كانت أموال النفط قد أمدّت الحكم السعودية ودعوته الدينية المتطرّفة بزخم غير عادي لم يتأتّى لأي دعوة أخرى في العهد الحديث، فإن النفط نفسه ليس مضموناً الى الأبد مادامت سياسات النجديين النقيضة لكل ما هو وطني ولكل ما هو عدالة ومساواة، قائمة ومستمرة.. فالنفط ومنطقته قد تذهبان أيضاً، بالرغم من الشعور المغالي فيه بالقوة الذي يبديه متطرفو الوهابية وآل سعود على حدّ سواء، والذي يظهر وكأن الدنيا والعالم قد توقف عندهم وغير قابل للزوال.

زعيم الحجاز الديني: تشكيل مؤسسة غير وهابية

(الدين والملك توأمان)

التحالف المصيري بين الوهابية والعائلة المالكة

كان العامل الديني القوة التوحيدية الفريدة الذي نجح في تشكيل وحدة اجتماعية وسياسية منسجمة في منطقة نجد. فقبل ظهور الدعوة الوهابية

القبّة الخضراء فضيّة وبلا هلال!

التطرّف الوهابي لا حدود له.

إنه مرضٌ حقيقي مختزن في صاحبه، قد يوجهه الى الآخر المختلف في الوجهة الدينية او المناطقية، لكنه لا يلغي حقيقة أن المريض بالتطرّف لا يخرب بيت الآخر بل ينتهي بتخريب بيته. لقد بدأ التطرف في المملكة ضد المواطنين الآخرين غير الوهابيين، فساموهم العسف والظلم وهدر الحقوق والكرامة، وكانت الحكومة تؤيد ذلك وتشرعن الفعل الطائفي المتطرف،

معالم وآثار يهدمها الوهابيون

المساجد السبعة.. قيمة لها تاريخ

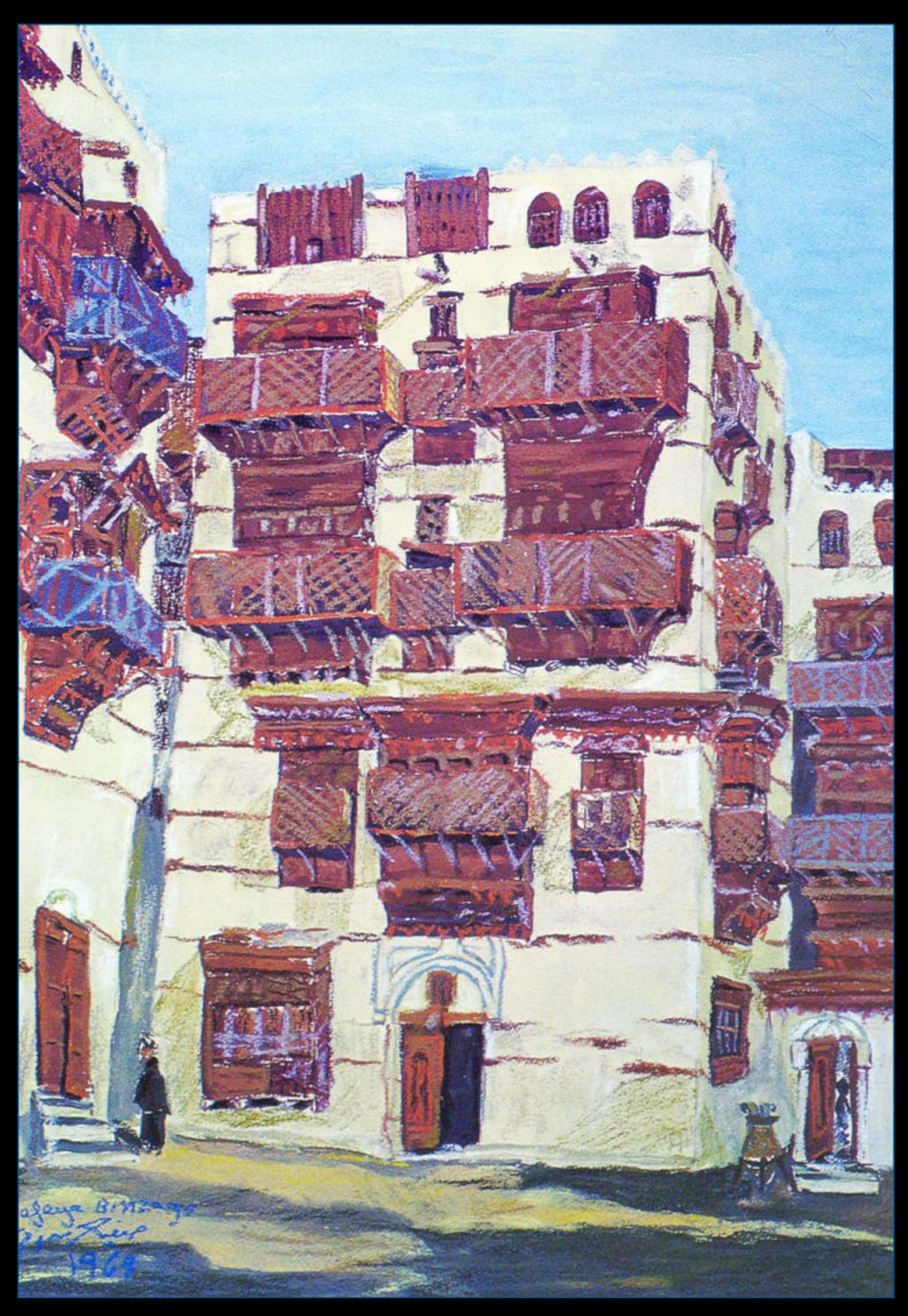
مسجد سلمان الفارسي

من المعالم التي يزورها القادمون إلى المدينة المساجد السبعة، وهي مجموعة مساجد صغيرة عددها الحقيقي ستة وليس سبعة، ولكنها اشتهرت بهذا الاسم، ويرى بعضهم أن مسجد القبلتين يضاف إليها؛ لأن من يزورها يزور ذلك المسجد أيضاً في نفس الرحلة فيصبح عددها سبعة.

وهناك روايات حديثية لابن شبة تحدث فيها عن مسجد الفتح وعن عدة مساجد حوله. وقد روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في تلك المساجد كلها التي حول المسجد

My Computer

الحجازعلى الانترنت http://www.alhejazi.net



لوحة للفنانة صفية بن زقر